

ثلاثة فى الإيمان

تأليف
مجدى سلامة

ثلاثة فى الإيمان

ثلاثة فى الإيمان

ثلاثة فى الإيمان

البابا
بطرس الجاولى
« السابع »
١٠٩
١٨٠٩-١٨٥٢م

البابا
كيرلس الرابع
أبو الإصلاح
١١٠
١٨١٦-١٨٦١م

الأنبا
صرابامون المنوفى
« أبو طرحة »
أسقف المنوفية المتنيح
عام ١٨٥٣م

مجدى سلامة

إســـم الكتـــــاب : **ثلاثة فى الإيمان**
المؤلـــــــــف : مجدى سلامة
الجمع التصويرى : جى سنتر بدمياط
المطبعـــــــــة : مطبعة دير البرموس



صاحب القداسة

البابا شنوده الثالث

الفهرس

مقدمة

الأنبا صرابامون أبو طرحة أسقف المنوفية، حياته غنية بالمواقف والمعجزات لقد عاصر إثنين من البطاركة المكرمين، هما البابا بطرس السابع (الجاولى)، والبابا كيرلس الرابع.

لقد إتسم ثلاثتهم، بالبساطة والتقوى، بالصلاح والإصلاح، بالصوم والصلاة. سيرهم مباركة، ومعجزاتهم تؤكد أن لهم دالة مع الله، وكل ما طلبوه منه، بثقة وإيمان وبلا إرتياب، أعطاهم إياه.

لم تهدأ لهم نفس، ولم يتهاونوا فى عقيدتهم. لم يرهبهم وعيد أو تهديد. إضطهاد أو تعذيب. ومضوا فى طريق الإصلاح.

رغم كل الضيقات التى قابلتهم، كان الله يمدهم بالحكمة، ويعضدهم بالتروى، ويقف إلى جوارهم، فإجتازوا المحن.

ولما كانت حياتهم حافلة، فقد تواخيت أن ألقى الضوء على سيرتهم، من خلال حوار خيالى مع الأنبا صرابامون المنوفى الشهير (أبو طرحة)، فى هذا الكتاب (ثلاثة فى الإيمان)، حتى تكون حياتهم قدوة لنا فى التضحية والفداء .. فى البذل والعطاء .. فى الغيرة من أجل مجد الله وسلامة الكنيسة، التى وصلت تضحياتها حد الإستشهاد.

إن كتاب «ثلاثة فى الإيمان» سوف يشدك إليه -عزيزى القارئ- فى متعة، مثيراً فضولك قارئاً أو دارساً .. شغوفاً بالبحث أو محباً للتسلح بالمعرفة الجادة، أو التزود بالمعلومة المفيدة، عن هؤلاء القديسين البررة.

تحيطنا بركاتهم ومعجزاتهم وصلواتهم. أمين.

مجدى سلامة

المراجع

تاريخ باباوات الكرسى الإسكندرى	القمص صموئيل تاوضروس السريانى
مشاهير دير الأنبا أنطونيوس (الآباء الأساقفة)	القمص أنطونيوس الأنطونى
الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث	ميخائيل شاروبيم
نوابغ الأقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر	توفيق اسكاروس
تاريخ الكنيسة القبطية	القس منسى يوحنا
سلسلة تاريخ الباباوات بطاركة الكرسى السكندرى	كامل صالح نخلة
تاريخ الأمة القبطية	لجنة التاريخ القبطى
خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر	كامل صالح نخلة وفريد كامل
شهيد دمياط .. القديس سيدهم بشاى	القمص بيشوى عبد المسيح
القديس الأنبا صرابامون المعروف أبو طرحة	القمص ميخائيل سعد
القديس أبو طرحة	القس صرابامون عطية
بائع الزيت الأنبا صرابامون أبو طرحة	مكتبة المحبة
رسائل المتنيح القمص سيداروس اسحق	وكيل شريعة الأقباط شبين الكوم
الخريدة النفسية فى تاريخ الكنيسة	الأسقف ايسيذوروس

الأنبا صرابامون أبو طرحة

+ حدثنا عن نشأتك وطفولتك يا أبانا أنبا صرابامون أبو طرحة ؟

+ نشأت بمديرية الشرقية، وكان إسمى صليب. ولما كبرت أقمت بالقاهرة، واحترفت مهنة بيع الزيت، الذى كنت أضعه فى جراكن، وأطوف به على حمار فى الشوارع والحارات. ما أن ينتهى يوم عملى، حتى أنصرف إلى عبادتى الروحية. لقد كنت أحيا بروح الاتضاع، وأحب الله من كل قلبى.

+ ما هى الأسباب التى دفعتك لدخول الدير ؟

+ حدث أن إحدى الساقطات حملت سفاحاً. وأرادت التخلص من الطفل بعد ولادته. فأشار عليها ذووها، أن تنتظرنى فى سرحتى، وتنتهز فرصة إزدحام الناس حولى وهم يشترون الزيت، وتلقى بالطفل الوليد بعد أن تقتله عند أرجل الحمار، وتدعى أننى دسته بحمارى وتسببت فى قتله.

+ ونفذت هذا التفكير الشيطانى وصارت تصيح "النصرانى الكافر قتل الولد"

+ واجتمع الناس حولى، وساقونى بحمارى بعد أن حملونى الطفل المقتول إلى قسم الشرطة، والناس حولى من كل ناحية. وشهد على الكل كذبا، بأننى الذى قتلت الولد مع أننى برىء. وحاولت أن أبرىء نفسى أمام الحاكم، ولكن جميع الموجودين، أصروا على أننى الذى

قتلته وشهدوا بذلك. أمام هذه الضيقة العظيمة، وجدت نفسى أرفع عينى إلى السماء، وأقول يارب أدعوك فى ضيقتى فأنقذنى، كى أمجدك يا الهى وأكرس حياتى لك.

+ ووقعت عيناك على الطفل المقتول، وقلت له بايمان، يقيمك الرب يسوع لتخبرهم بمن قتلك. فقام الطفل فى الحال بإذن الله، وقال للحاضرين: "أمى هى التى قتلتنى" وعاد فرقد ثانية.

+ فأفرجوا عنى متحيرين مما رأوه. ولكن البعض وقف يضربنى وهم يصرخون أنت ساحر ... أنت ساحر.

+ لقد أنقذك الرب بهذه المعجزة العجيبة، التى تفوق إدراك البشر ... طفل مولود يموت ويقوم من الأموات ليتكلم ويعترف، بأن أمه القاتلة.

+ لقد أفرجوا عنى وأنا فى حيرة، ماذا أفعل خاصة وأن الشيطان صور لى، أن تقواى وبساطة قلبى واتضاعى، هم السبب فى قيام الطفل ليخبر بالحقيقة، وأننى أصبحت شيئاً مذكوراً. ووجدت نفسى أضعف من أن أحتمل هذه الكرامة، فتركت حمارى بما عليه من جراكن زيت. وقلت لنفسى إلى أين يا صليب؟ .. ووجدت رجلى تقودانى إلى دير القديس أنطونيوس.

+ حيث عشت حياة القداسة والطهارة، مداوماً على التأمل فى الروحيات وعشت راهباً مطيعاً باحثاً عن خلاص نفسك، فذاعت قداستك وإنتشر صيتك وأسموك

الراهب صليب الأنطونى.

+ لقد مارست حياة المحبة مع الكل بلا تمييز، دائم الصلاة، مدرباً نفسى على فضيلة الإتضاع.

✣ متى سمت أسقفاً على كرسى المنوفية ؟

+ فى حبرية البابا بطرس السابع الشهير بالجاولى البطريرك ١٠٩، وقع على الأختيار، فأحضرونى بغير إرادتى. وسامنى أسقفاً للمنوفية بإسم الأنبا صرابامون.

✣ كما أنتدبك وكيلا عاماً للبطرخانة، تباشر الشئون والقضايا فيها. وأصبح لك محل إقامة دائمة فيها، على الرغم من أنك كنت أسقفاً للمنوفية. لقد ذكاك لذلك، حكمتك وطول أناتك وإتضاعك. كما كان وجودك فى البطرخانة. سبب عطف الولاة والحكام على الكنيسة، لما كان يجرى على يديك من معجزات.

+ لقد كنت بسيطا لا أحب الظهور ولا المديح ولا المناصب، بل الله وحده يعلم كم كانت أيامنا محفوفة بالمشاكل والإضطهادات.

✣ لماذا سميت صرابامون أبو طرحة ؟

+ لأنه كان من عاداتى أن ألبس طرحة سوداء أو شال على رأسى، مغطيا وجهى وعينى، حتى لا يعرفنى الناس، حين أتخفى حاملا إليهم الدقيق والقمح، والخبز والمأكولات، لأوزعها بيدى على المحتاجين، فى البيوت المستورة الذين يمنعهم الحياء، عن طلب المساعدة والمعونة.

+ يذكرنا ذلك يوم خرجت قداستك، لتعطى الفقراء ما يحتاجونه، وحدث أن رآك "حنس النجار" خادم البطريركية، وكاد لا يظهر من وجهك غير عينيك، فلفت نظره زيك وتلثمك، وظن أنك لص، فتبعك دون أن يعرفك وأنت تحمل على رأسك قفة كبيرة، وظل يتبعك وأنت تدخل من عطفة إلى أخرى دون أن تراه، إلى أن وقفت أمام أحد البيوت وطرقت الباب، الذى ما ان فتح، حتى تركت القفة أمامه وعدوت مسرعا. لقد جرى وراءك حنس، واستطاع اللحاق بك، وأمسكك محاولا التعرف عليك. ولما لم تستطيع يا أبانا التهرب منه، ورأيت أن حنس كشف سرك.

+ لقد قلت له «عليك البركة يا إبنى، ألا تذكر ما رأيته لأحد ما دمت حيا» وانتهرته وحذرته ألا يلحق بى مرة ثانية.

+ لقد إشتهرت يا أبانا، بحياة التقشف والبساطة والزهد فى المأكل والملبس والمسكن. كما كنت تقضى الليل قائما تصلى، مؤديا صلواتك الطقسية والقانونية الخاصة، ثم بعد تأديك الصلوات، تفرش وتنام على الأرض

+ لقد كنت آكل الدشيشة فى إناء من خشب، كما كنت أحارب شهوة النفس ورغاباتها.

+ ولكنك مرة دخلت بيتا، فإشتممت فيه رائحة ملوخية وفراخ محمرة، فإشتهت نفسك أن تأكل منهما، ولقد

أرسل اليك أهل البيت، فى البطريركية حيث كنت تقيم، بعضا منها.

+ لقد أبقيت الأكل ثلاثة أيام حتى أنتن، وطلبت من تلميذى ابراهيم برغوت أن يستحضره، وحاولت الأكل منه، ولكن نفسى عافته.

✧ عندئذ وبخت نفسك قائلا: ها هى شهوتك، لماذا لا تأكليها يا ملعونة

+ وأعطيت تلميذى الأكل كى يلقى به خارجاً.

✧ ما هى قصة الستمائة ريال، التى أردت أن تشترى بها داراً للأوقاف ؟

+ لقد أودعت عند تلميذى كيساً به المبلغ، لأشترى بيتاً للبطرياركية، يدر دخلا للكنيسة. وحدث أن زار تلميذى أحد أقاربه، وعلم بأمر المبلغ، فدفعه الطمع إلى سرقة الكيس. تضايق تلميذى جداً، حين إفتقد النقود ولم يجدها، وحضر إلى باكياً فخففت من أحزانه، وقلت له ثق بالله، فهو قادر أن يرد لنا المال.

✧ لقد كان السارق، كلما إقترب من الكيس الذى غير معالمه، وأودعه بخزينته داخل حجرته، يرى طيفك بجانب الخزينة، وظل على هذا الحال ثلاثة أيام، لم يستطع خلالها دخول الحجرة. وشعر بتأنيب الضمير، وإشتد به الندم. وأسرع إلى القمص سيداروس إسحق، معترفا له بسرقة الكيس، فأشار عليه برد المال إلى قداستك.

+ لقد حضر إلى السارق مسرعا ومعه الكيس، وإنطرح أمامى باكيا طالبا السماح والعفو، فسامحته وأعطيته ريالات كى يسدد إحتياجاته، وصرفته داعيا له. لقد تأثر الشاب وتاب وندم. ثم عاش أمينا مجتهدا بقية أيام حياته.

✢ لقد كنت تؤمن بقوة الصلاة وفاعليتها، لذلك كنت تصلى فى كل وقت من يومك، حتى أنه قيل، عندما إنتهيت من خدمتك فى إحدى القرى، طلبت من أحد المحبين، السماح لك بقضاء ليلتك عنده إلى الصباح، وطلبت حصيرة لتجلس عليها، فأحضروها لك، وقمت للصلاة وأنت ساجد على الحصيرة. وقامت الأسرة التى إستضافتك لتجهز لقداستك طعام العشاء، وإنتظرتك إلى أن تنتهى من صلواتك. لم تنته حتى الصباح الباكر، وبعد ذلك تناولت وجبة الإفطار معهم، وركبت دابتك وانصرفت.

+ إن كان الله قد منحنى مواهب عديدة وفضائل، لإيمانى وقوة صلاتى، واهتمامى بكل الكنائس والتعليم الدينى والوعظ، وإفتقاد الكنائس فى كل قرى الإيبارشية، وترميم ما تحتاجه الكنائس بها. لقد كنت أقضى عشرة شهور من السنة، فى افتقاد شعب الإيبارشية وحل المشاكل. وهذا كله يحتاج لصلاة مستمرة.

✢ لقد تصور البعض، أن فى إمكانهم النيل منك يا أبانا، فمظهرك البسيط جعلهم يتصورون أنك صيد سهل، من الممكن أن يجعلوك موضوعا للسخرية والهزء

+ يبدو أن الذى دفعك لهذا القول هو الثلاثة شبان المستهزئين، الذين قصدوا السخرية منى، فتمدد أحدهم أرضا كميت، ووقف الإثنان يبكيان لدى مرورى، طالبين منى إحسانا، للنفقة على جنازة فقيدهما.

+ لقد قلت لهما قداستك أهذا ميت؟ قالا لك نعم ميت، ثم كررت هذا السؤال: هل أنتما متأكدين أنه ميت. فزادا سخرية منك قائلين لك نعم ميت.

+ فأعطيتهما مبلغا من المال، وأنا أقول لهما، خذا هذا المبلغ وإدفناه ما دمتا قلتا أنه ميت ثم إنصرفت.

+ لما أرادوا إيقاظ رفيقهما، إذا به قد فارق الحياة، فأخذاه ودفناه نادمين عما بدا منهما، تائبين طالبين من الله المغفرة والرحمة.

+ أذكر أننى فى إحدى زياراتى، التى تعودت فيها إفتقادى للقرى مع تلميذى، كنا نركب الحمير، وفى الطريق تعرض لنا عبد أسود رئيس عصابة، وطلب منى أن أعطيه ما معى من نقود. أجبته ليس معى شىء. فأجابنى العبد قائلا: لا بد من النقود، وإلا فإنزل عن دابتك واخلع ملابسك. فأجبته قائلا: «اخلى لى الطريق يا ابنى مالى ومالك».

+ فما كان من العبد، إلا أنه رفع يده، ليهوى بنبوته على رأسك، فقلت له يا أبانا: "يا مسكين وى.. إنت رفعت إيدك بالنبوت، طيب خليها مرفوعة وسيبنى". وتركت هذا العبد كالتمثال.

+ ثم تركته وأخذت الركايب مع تلميذى، ومضينا فى طريقنا إلى

القرية، لأفتقد فيها شعبى. وفى الصباح، عدت أدراجي بعد أن ودعنى العمدة والأهالى، وفى الطريق، لمح العمدة رئيس العصابة ما زالت يده مرفوعة، وواقفا دون أن يتحرك وهو يصرخ من شدة الألم، وقد التف حوله الناس يتعجبون.

+ ولما رآك يا أبانا، إستغاث بك أن ترحمه، فتعجب منه العمدة وسأله مالك يا ولد واقف هكذا فى الطريق؟. فأجاب العبد قائلا: "لقد ربطنى هذا الأسقف فى مكانى فلم أتحرك، ويدى واقفة بلا حركة".

+ لقد قصصت للعمدة عما بدر من العبد، فإعتذر العمدة ورجاله، عما بدر من أحد رجال قريته، وطلبوا منى أن أصفح عنه وأرحمه.

+ لقد قلت يا أبانا "يا خطيتك يا صليب، قم يا ابنى الله يباركك، وعفوت عنه، بعد أن تعهد هذا العبد، ألا يعود إلى السرقة أو التعدى والهجوم على أحد.

+ بالطبع لم يفتنى أن أطلب من العمدة، الإهتمام برجال القرية، وإيجاد عمل لهم، وسد حاجتهم، حتى لا يلجئوا للسرقة والإجرام.

+ على كل.. لقد ندم هذا العبد رئيس العصابة على ما فعل، ولم يحترف اللصوصية بعد ذلك، وظل يخدمك، ويهتم ببغلتك التى كنت تركبها فى تنقلاتك، بقية حياته إلى أن توفى.

+ بالصلاة كنت أخرج الأرواح النجسة، وكنت أشفى الأمراض

المستعصية.

+ كيف كنت تخرج الشياطين يا أبانا؟

+ بعد أن أنتهى من صلاة القداس، كان يؤتى إلى بالمصابين والذين عليهم أرواح نجسة والمرضى، ويضعونهم أمامى وخلفى، فكنت آخذ بيدى قلة ماء، وأتلو على كل واحد منهم المزمور ٣٤ وهو «دن يا رب الذين يظلموننى قاتل الذين يقاتلوننى» ولا أفرغ من تلاوة ربعه أو نصفه، حتى يصرخ الروح النجس، بحالة إنزعاج شديد، ويقول لى «فى عرضك.. فى عرضك».

+ فتجاوبه قداستك قائلا بلغتك المحببة "همله يالا برا" فيقول الروح النجس أخرج من عينه.

+ فأقول له لا أخرج من صباع رجله، وأحيانا تتكرر هذه المناقشة فأقول له «همله بلا عكعكة» يعنى أخرج بدون مناقشة. وأصب قليل من ماء القلة التى فى يدى، وأرش به وجهه ثلاث مرات قائلا فى كل مرة «يسوع المسيح» ففى الحال يخرج الروح النجس ويعافى المصاب.

+ ما أكثر الأرواح النجسة التى أخرجتها يا أبانا، وكم يسعدنا أن تذكر لنا، ما حدث مع زهرى باشا إبنة محمد على باشا.

+ زهرى باشا إبنة محمد على باشا، وزوجة أحمد بك الدفتردار، إعترها روح نجس، وعانى الأطباء من معالجتها، وحاولوا شفاءها دون جدوى.

+ لقد أشار البعض على الوالى، عن إمكان أئمة النصارى، فى شفاء إبنته. لذلك إستعان بالبابا بطرس الجاولى، الذى طلب من قداستك التوجه إلى السراى، والصلاة على زهرى باشا.

+ لقد لبيت الدعوة، وتوجهت إلى السراى، التى وجدتها غاصة بالعساكر والجماهير رجالا ونساء.. والناس كلها منتظره ماذا سيفعل الله على يدى. وأدخلونى إلى مخدع الأميرة.

+ وبدأت الصلاة على الأميرة، وتحرك الشيطان فيها، وألقاها صرعى على الأرض، فصرخت بأصوات إرتجت لها السراى.

+ لقد إرتعبت وخفت من سوء العاقبة، لو لم تشفى زهرى باشا. وكلما صرخت، إزددت إستغاثة برحمة الله، مصليا بحرقة ودموع، طالبا قوة المسيح. لقدصرخت بصوت حزين، وقلت يا يسوع مجد بيمينك وانصر كنيستك.

+ وأكملت الصلاة، ورسمت علامة الصليب على ماء، وضربت به وجه الأميرة.

+ فصرخ الشيطان بصوت مزعج وخرج منها، وقامت الأميرة صحيحة. وضربت الموسيقى فرحا، وبشر محمد على باشا بذلك.

+ وجاء إلى إبنته فوجدها متعافية، فرغب أن يكافئك، فقدم لك كيسا به أربعة آلاف جنيها.

+ لقد رفضت قبولها، وقلت للوالى، ليس لى أن أربح بواهب الله.

فملابسى فراجية من الصوف الأحمر، وطعامى من الخبز والعدس. ثم سألته أن يشمل بعطفه أبناء الطائفة القبطية، ويعيد المفصولين منهم إلى الخدمة.

+ فأجابك إلى طلبك، وألح عليك أن تقبل العطية.

+ لقد مددت يدى إلى الكيس، وأخذت منه قبضة من الجنيهات الذهبية وقمت بتوزيعها على العساكر والخدم. وعدت إلى قلايتى، أمجد إسم الله القدوس.

+ على كل بسبب هذه الحادثة، صار لقداستكم وغبطة البابا بطرس السابع، منزلة سامية فى عيون الحكام.

+ وأسندت وظائف كثيرة فى الحكومة للأقباط.

+ هل لك يا أبانا، أن تشرح لنا ما حدث، حينما أحضروا مريضا بروح نجس، إلى البابا بطرس السابع البطريرك ليصلى عليه؟

+ لقد طلب أن يبقى، حتى يستدعينى قداسته، لأصلى على المريض. وكان الأنبا ابرام، أسقف القدس موجودا، فقال له منك أيها البابا نأخذ نحن الأساقفة المواهب، فصل ولا تنتظر مجىء الأسقف صراباموون، فصل قداستكم على المريض ولا تنتظر.

+ لقد أجابه البطريرك بتواضع زائد: اعلم يا أخى أن لكل واحد منا موهبته، وقد خص الله الأنبا صراباموون، بموهبة شفاء المرضى واخراج الأرواح الشريرة. ولكن الأسقف لم يقتنع، فقال له البطريرك أنت أسقف مثله

فقم وصل.

+ فقام وصلى على المريض، ولكن بلا منفعة، لأن الروح الشرير كان يستهزئ به، ويذكر له تأخره فى إتمام واجباته، حتى اعترف بتقصيره.

+ ولما حضرت يا أبانا صرابامون، إعتذرت بأنك خاطئ، وبعد الحاح البابا عليك للصلاة وافقت.

+ على أن أمسك بيدى صليب البابا وأنا أصلى، وكذلك أن يساعدنى البابا بصلاته.

+ وفعلا نزلت قداستك، إلى المريض فى الطابق الأول، ولما استرسلت يا أبانا فى الصلاة، خرج الروح النجس.

+ لقد خرج الروح النجس صارخا، أنا أحتملك أنت ولا أحتمل اللى فوق.. وبالطبع كان يقصد صليب البابا.

+ ان ما عرفناه عن ملابسات، اخراج هذا الروح النجس، يؤكد لنا يا أبانا، حرصك على اخفاء فضائلك. واصرارك على استخدام صليب البابا، كى تهرب من محنة المديح، التى تعتبر إحدى حروب الذات.

+ ما أكثر حروب الذات، التى يستخدمها الشيطان مع المؤمنين والقديسين، محاولا إبعادهم عن طريق الرب ومخافته.

✥ من إكرام الله لك، أنك كنت ترى بعض الأرواح، وهى منطلقة صاعدة، بعد خروجها من الجسد.

+ تقصد أننى رأيت روح، الأنبا مكاريوس أسقف أسيوط بعد نياحته، وهى صاعدة، فدخلت على البطريرك ليلا منزعجا، وأخبرته بذلك وتحقق الخبر بعد ذلك.

✥ وكذلك رأيت قداستكم، روح الأنبا يوساب أسقف الفيوم، مرتفعة إلى السماء. وإذا بك تتوجه صارخا إلى البطريرك، الذى كان يجلس فى ذلك الوقت، ومعه تادرس عريان والد باسيلى باشا تادرس. ولما سألك البابا سبب صراخك، أجبته بأنك شاهدت روح الأنبا يوساب، صاعدة إلى السماء.

+ لقد تركنى البابا ودخل مخدعه، دون أن يبقى لمقابلة الزائرين.

✥ ولما سئل عن سبب ذلك، فقال حزنا على قداستك يا أنبا صراباmون، لئلا يكون الإزدهاء قد إستولى عليك، للموهبة التى أعطاها الله لك، فتفسدها عوضا عن كونك تستخدمها للخير.

+ لقد تقدمت للبابا وضربت له مطانوه، وأفهمتَه أننى لم أنل درهماً واحداً لقاء أى عمل أقوم به.

البابا بطرس السابع

+ وما دمنا نتكلم عن البابا بطرس السابع الشهير بالجاولى البطريرك (١٠٩). فيا ليتك تقدمه لأبناء جيلنا.

+ ولد بقرية الجاولى بمركز منفلوط. وكان اسمه منقريوس. ورسم قسيسا بدير القديس أنطونيوس باسم كوريوس. ثم رقى إلى درجة قمص، لما لاحظه فيه رئيس الدير من التقشف والاستقامة. ولما كان مواظبا على أعماله النسكية، فقد بلغ خبره مسامع البابا مرقس، فإستدعاه اليه ليرسمه مطرانا للحبشة، غير أن عناية الله أخرت تعيينه، إلا أنه رسم مطرانا على الكنيسة عموما، بإسم وكيل الكرازة المرقسية ودعى إسمه ثاوفيلس. فأقام مع البابا مرقس فى دار البطريركية وشاطره فى القيام بجميع مصالح الأمة، إلى أن توفى البابا مرقس.

+ فأجمع المجمع المقدس، مع كبار الأراخنة، على إختيار الأنبا ثاوفيلوس ليكون خليفة له. وتمت رسامته بطريركا، على كرسى الكرازة المرقسية، بإسم البابا بطرس السابع، فى يوم الأحد ٢٤ ديسمبر ١٨٠٩.

+ لقد أختير بطريركا، بعد ثلاثة أيام من وفاة البابا مرقس. وتم تعيينه فى عهد الخديو محمد على باشا. لقد كان هذا البابا، تقيا ورعا

زاهدا متقشفا محبا للخير، قليل الكلام مع هيبة ووقار. يقضى يومه منكبا على المطالعة، أو مواظبا على الصلاة، وخصوصا لأجل سلامة الكنيسة. ولم يكن يهتم بما يأكل أو يشرب. أما لباسه فصوف خشن ومركوب مكعوب، ويجلس على الأرض أو على دكة، وينام على حصير من القش.

+ لقد كان وديعا متواضعا، فلم يغير نظام رهبنته، كما كان يجدل الخوص فى أوقات فراغه.

+ كما كان لا يتعرض إلى أمر من أمور السياسة، ولا يخرج من الدار البطريركية إلا لضرورة. وإذا سار فى الطريق، أرخى على وجهه لثاما أسود، وإذا تكلم، فمع التأدب والحشمة، ولا ينظر إلى وجه سامعه.

+ ولم يكن يرغب فى حضور الأكاليل فى المنازل، وإذا طلب أحد وجوده لنوال بركة، فكان يطلب حضور العروسين إلى الكنيسة صباحاً، ليناولهما الأسرار المقدسة بعد الاعتراف.

+ لقد كان هذا البابا، سامى الخلق واسع العقل كثير الرغبة فى إصلاح الكنيسة، وكان ميله شديدا لمطالعة الكتب الدينية والعلمية والتاريخية، حتى كانت تشغله المطالعة أحياناً، عن الأكل والشرب ولهذا إهتم بنقل ونسخ الكتب النادرة.

+ ومن ضمنها سيرة القديس باخوميوس أبى الشركة. وينسب معظم ما يوجد فى مكتبة البطريركية، إلى ما

جمعه هذا البابا . وله كتب بخط يده، مثل مقالات فى المجادلات، والثانى فى الاعتقادات رداً على المعاندين، وله أيضا مواعظ ورسائل، وقصد بما كتب، هداية من انسلخوا عن كنيستهم، وإنضموا للكنيسة البابوية .

+ ويرجع اليه الفضل، فى اعداد مكتبة للدار البطريركية، جمع فيها المصاحف التاريخية والأسفار اللاهوتية. كما حصل على مجموعة من المخطوطات النادرة. ولما زاد رصيده من المجلدات النفيسة، أعد لها مكانا فى المقر البابوى، وأشرف بنفسه على ترتيبها. وعمل سجلا خاصا إحتفظ به لديه. كما كلف مشاهير النساخ، بنسخ الكتب الفريدة، التى جاء بأصولها من دير القديس أنطونيوس ومن كنائس القاهرة الأثرية.

✣ فى عهده أعد الميرون المقدس، فهل لنا أن نعرف الظروف التى أدت إلى إعداده فى غير موعده؟

+ عندما أقدم المتمردون على حرق كنيستى السيدة العذراء والأمراء الشهداء بحارة الروم. إمتدت النيران إلى مخازن البطريركية، وأحرقت كل ما فيها من الميرون المقدس، الذى صنعه البابا يؤانس الثامن عشر عام ١٧٨٦ ولم يتبق منه شئ.

✣ ولما كانت البطريركية، ملتزمة بتقديم هذه المسحة المقدسة، إلى جميع كنائس الكرازة فى مصر وأثيوبيا والنوبة وفلسطين، رأى البابا نفسه، مضطرا إلى اعادة صنعها، حتى لا يترتب على نفاذها نقص فى الطقوس.

+ ولما أعلن البابا عن نيته، تطوع الأرخن منصور سرابيون عميد أراخنة القبط وقتئذ، بشراء المستلزمات المطلوبة من العطارين من جيبه الخاص. ولما تم جلب العناصر المطلوبة، شرع البابا فى صنع الميرون، مستعينا بالخميرة المقدسة، التى وجدها فى كنائس المعلقة وأبى سيفين والأنبا شنودة بمصر القديمة. فقام بخلط العناصر وصحنها وطبخها، وفرغ من صنع الميرون وتقديسه، يوم الخميس ١٩ برمهات سنة ١٥٣٦ش (١٨٢٠). وقد إشترك معه فى هذه العملية المقدسة، بخلافى أنا أسقف المنوفية، مطران أورشليم وأسقف المنيا والأشمونين وأسقف منفلوط وأسقف أسيوط وأسقف جرجا وأخميم وأسقف إسنا. أما أسقف أبو تيج وأسقف الفيوم والبهنسا فقد تنيحا، قبل أن يشرع البابا، فى طبخ الميرون وتقديسه.

+ لقد أضاف البابا بطرس السابع إلى صفاته، الحلم فى الرئاسة، والحكمة فى التصرف، فأصبح موضوع الاحترام عند الجميع. فكانت الحكومة راضية عنه، وكان قومه حاصلين على الأمن والرفاهية، والكنيسة مشهورة فى القطر المصرى حاصلة على إقامة شعائرها. ونال حظوة لدى الوالى، وبواسطته نجح الأقباط، وعهدت الحكومة إليهم فى الأشغال الكتابية والإدارية، ونالوا أوفر قسط من الحرية، فكانوا يباشرون عبادتهم، ويخرجون موتاهم وأمامهم الصليب بدون خوف.

+ لقد كان أفضل ما إشتهر به البابا بطرس الجاولى، زهده فى المال، وكراهته له. كما كان لا يسمح بوضع اليد على أى كاهن، ما لم يتأكد حسن سلوكه. وفى عهده، تم تجديد الكنائس، ورسم فى عهده ٢٥

أسقفا ومطرانين للحبشة.

✤ ومن الأساقفة المشهورين فى عهده: قداستك يا أبانا صراباموون المنوفى، وأنبا يوساب الأخميمى، وأثناسيوس الغمراوى، وتوماس المليجى.

+ لقد أصبح يذكر اسمه مقرونا بالإجلال والإحترام، وتقاطر على مجلسه كبار العلماء المتدينين للمباحثة، فكان يجاوبهم بكل حكمة، كما كانت الآيات والعجائب تجرى على يديه وما أكثرها.

✤ أستأذنك يا أبانا أن تذكر لنا إحدى معجزاته.

+ لقد توقف النيل عن الزيادة، فضج الناس، وأمر الحاكم رؤساء الأديان برفع أصوات الابتهال إلى الله، لتزيد مياه النيل. فاحتفل أولا المسلمون بالصلاة وكثرة الدعاء، ثم تلاهم اليهود، ومن بعدهم الروم فالسوريون ثم الإفرنج، فلم يزد ماء النيل قيراطا واحدا. وبعد ذلك طلبت الحكومة، إلى قداسة البابا بطرس السابع أن يصلى. فتقدم إلى شط النيل، ومعه بعض الأساقفة والكهنة والشعب وعظماء الأمة، وأقام صلاة القداس المبارك، وبعد الانتهاء ألقى المياه التى غسلت بها الأوانى المقدسة، فى النيل مع قربانة من الحمل المبارك، فعجت فى الحال أمواجه، وفارت مياهه «كدست يغلى» وفاضت. فبادر تلاميذ البطريريك إلى رفع أدوات الإحتفال، ولم يتموا ذلك حتى أدركتهم المياه.

✤ لقد بلغت أخبار فضل البابا بطرس وتقواه، مسامع محمد على باشا، فأكرمه وأجله وأنزله عنده منزلة سامية.

+ لعل ما يؤكد ذلك، عندما تقدم محمد على باشا فى فتوحاته وغزواته، خشيت روسيا أن يعظم أمره، ويحول دون أمانيها فى الشرق، وفى المملكة العثمانية. ففكرت أن تستعين بالأمة القبطية، على نيل أغراضها ضد محمد على باشا، فأرسلت أميرا روسيا، يعرض على بطريرك الأقباط حماية روسيا لشعبه. وقابل الأمير البطريرك بطرس، وبدا يظهر له ألمه على حالة الأقباط التعسة، وعرض عليه حماية قيصر الروسيا للشعب القبطى.

+ لقد أجابه البابا بطرس، مستفهما بشئ من البساطة. هل مليككم يحيا إلى الأبد؟

+ فقال له الأمير الروسى، لا يا سيدى الأب بل يموت كما يموت سائر البشر.

+ فأجابه البابا. إذن أنتم تعيشون تحت رعاية مليك يموت، وأما نحن نعيش تحت رعاية مليك لا يموت وهو الله.

+ حينئذ لم يسع المندوب، إلا أن ينطرح على قدمى البابا بطرس وأخذ يقبلهما، وترك دار البطريركية، وقد شعر بعظمة هذا البطريرك الروحية.

+ وانطلق الأمير إلى محمد على باشا، الذى سأله عما رأى فى مصر.

+ فأجابه لم تدهشنى عظمة الأهرام، ولا إرتفاع المسلات، ولم يهزنى كل ما فى هذا القطر من العجائب، بل أثر فى نفسى، زيارتى للرجل التقى بطريرك الأقباط. ثم روى له ما جرى بينهما. فسر محمد على،

وقام فى نفس اليوم بزيارة الدار البطريركية، وقدم الشكر للبابا بطرس، على ما أبداه من الوطنية الحقة والإخلاص للبلاد.

+ لقد قال البابا لمحمد على، لا تشكر من قام بواجب عليه نحو بلاده.

+ فقال له محمد على باشا والدموع تنهمر من عينيه، لقد رفعت اليوم بشأنك وبشأن بلادك، وليكن لك مقام محمد على بمصر، ولتكن مركبة معدة لركبك كمركبته.

+ من هو سيدهم بشاى، الذى استشهد فى دمياط، أيام محمد على باشا، فى عهد البابا بطرس الجاولى فى ٢٥مارس عام ١٨٤٤م؟

+ سيدهم بشاى ولد بدمياط من أسرة عريقة. عمل فى شبابه كاتبا بديوان المحافظة. ترك دمياط إلى الإسكندرية ليعمل فى تجارة الأخشاب. وكان يحضر إلى دمياط ويقيم عند شقيقه حتى تحضر مراكب الأخشاب التى عليها بضاعته. وكثيرا ما كانت تتأخر المراكب، فكان يذهب إلى الكنيسة للصلاة. أثار ذلك حنق بعض الأشرار، فهاجوا عليه وقبضوا عليه مدعين عليه أنه سب الدين الاسلامى. وكان بريئا. إلا أنه قدم إلى المحاكمة، وشهد عليه أمام القاضى الشرعى بربرى وحمار. وأصدر القاضى حكمه: «من حيث أن المدعو سيدهم سب الدين الاسلامى، وتطاول على حضرة النبى، فقد حكمت المحكمة، إما بدخوله الاسلام فيشفع له أو قتله فورا».

+ ولكن القديس تعجب من طلبهم، ولم يجب إلا بالرفض. فجلده القاضى. وتركوه داخل سجن المحكمة ينتظر مصيره المحتوم. وفى الخارج وقف الرعاع،

+ فى اليوم التالى أخذوا سيدهم من السجن مقيدا إلى محافظ الثغر، وبعدما فحص قضيته، ووجده شديد التمسك بإيمانه ورفضه لمشورتهم، حكم عليه زورا بمثل ما حكم به القاضى. فإستهان بالقتل. وجروه على وجهه من أعالى سلالم مبنى المحافظة إلى أسفل حتى تشوه وجهه، وضربوه خمسمائة كرباج فى ميدان المحطة حتى غاب عن الصواب، ولما إستفاق أعادوا ضربه، وجروه فى شوارع المدينة، حتى أعياه التعذيب، فطرحوه فى وكالة الأحباش الخربة، وتركوه فى نزاع الموت.

+ ولم يكتفوا بذلك، بل فى اليوم التالى عروه عن ثيابه بقصد الاستهزاء، ومروا به فى شوارع المدينة، والبسوه كرشة خروف فى رأسه، ولطخوا جسده بالأوحال، وعلقوا فى رأسه مقشتين ملوثتين بالقاذورات، وكلابين حديد فى جنبيه بهما قطع لحم. وربطوا كلبين وقطة فيه ليتعاركوا ويهمروا لحمه. وأركبوه جاموسة بالمقلوب، وعلقوا على لحيته صليبا لوثوه بالقاذورات، وصاروا يزفونه فى كل البلدة، كأنه يساق للذبح. لقد شاهد ذلك جمع من المسئولين، منهم الشيخ على خفاجة، والشيخ البدرى والقاضى، ومع ذلك لم يتقدم أحد منهم لينهر الرعاع، ويطلب منهم أن يكفوا عن إيذاء القديس.

+ ولم يكفوا الرعاع عن ضربه بالعصى والسياط والأحذية حتى برز لحمه من عظمه، والقديس سيدهم بشاى فى كل ذلك صابر غير متذمر، لا ينطق بشئ سوى أنه كان يصلى قائلا: يا طاهرة.. يا

يسوع.

⁜ لما أحس الرعاع أنه إقترب من الموت، ساقوا القديس متوجهين إلى بيت أخيه فى منية دمياط، وطرحوه أمام منزل أخيه متجمهرين قرابة الساعتين. وتقدم منه خشاب يسمى عبده مشرفة، لما رأى فيه نسمة الحياة، أحضر قطران في القدر من على النار، ورشه على وجه القديس.

+ ورغم كل هذه العذابات كان يتشفع بالعذراء ويناديها. ونسى آلامه فى ساعة إحتضاره، وطلب من صديقه الذى كان يقف بالقرب منه، أن يحضر كرسيا لتجلس عليه العذراء، التى كانت واقفة تشدد من أزره، حتى أسلم روحه الطاهرة، بيد الرب الذى أحبه. وحملوا جسده داخل منزل أخيه، حتى ينتهى الشغب ويدفنوه.

⁜ لقد تداول قناصل الدول، مع كبار الشعب المسيحى، لتلافى مثل هذه الحوادث مستقبلا. وقرر القناصل عرض الأمر على الوالى محمد على باشا، والبابا بطرس السابع بطريرك الأقباط، ورفعوا إليهما التقارير، بواسطة الخواجة ميخائيل سرور المعتمد الرسمى لسبع دول.

+ وإهتم محمد على باشا بالأمر، وأرسل مندوبين رسميين لفحص هذه القضية، فأعادوا التحقيق، وتبين منه الظلم المجحف، الذى حل بالشهيد سيدهم بشاى، واتضح إدانة القاضى والمحافظ، فتم تجريدهم من مناصبهم، كى يعود السلام إلى المدينة.

✤ أما الخديوى بحكمته، أراد تهدئة النفوس، فأمر بتكريم الشهيد فى كل أنحاء البلدة، وتشييع جنازته رسميا. وأصدر أمره برفع الأعلام والصلبان فى جنازته، وقام بالاحتفال جميع الطوائف، وتقلد كثيرون الأسلحة، وسار الموكب من منزل شقيقه بمنية دمياط إلى المقابر، فى حراسة جمع غفير من الجنود، ولبس الكهنة ملابسهم الكهنوتية، وعلى رأسهم القمص يوسف ميخائيل وطافوا فى كل البلدة، مع لفيف من الشمامسة، حتى وصلوا به إلى الكنيسة، حيث أتموا مراسيم الصلاة، ودفنوه بأرض كنيسة مار جرجس.

+ لقد كانت هذه الحادثة، سببا فى رفع الصليب جهارا. كما رفع فوق قباب الكنائس فى كل مكان، وفى جنازات المسيحيين، وفى المناسبات الدينية.

✤ على كل يا أبانا صراباموت.. لقد إكتشف جسد الشهيد سيدهم بشاى كاملا بلحمه وعظامه، القمص بيشوى عبد المسيح وكيل مطرانية دمياط، بعد صلوات متصلة الليل والنهار، وبحور من الدموع، ودراسات للمخطوطات والكتب والخطابات، وتتبع شجرة الأنساب، والجلسات العديدة التى عقدها مع الكهنة والأهالى وأقارب الشهيد.. والجهود المضنية التى بذلها قداسته، ليحدد مكان الجسد، وإكتشافه ونقله إلى موضعه الحالى فى المقصورة بكنيسة السيدة العذراء بميدان سرور بدمياط. ولم يحرمنا القمص

بيشوى، من دخول بركة هذا القديس العظيم إلى كل بيت، فقدم لنا كتابه الرائع الممتع "شهيد دمياط.. القديس سيدهم بشاى" بأسلوبه السهل المتميز بعيدا عن التهويل متضمنا الحقائق. ولا ننسى المقدمة الرائعة بل العظة المباركة، التى قدمها الحبر الجليل الحبيب مطران دمياط وسكرتير المجمع المقدس الأنبا بيشوى، الذى وضع لنا مقارنته الرائعة بين سيرة الشهيد سيدهم بشاى، وقصة آلام السيد المسيح، والتى بالطبع قدمها لنا بعين الفاحص المنصف، والمحقق المدقق لتلك السيرة المباركة.

+ بركات القديس سيدهم بشاى تكون مع جميعكم.

✣ كم من الولاة عاصر البابا بطرس السابع؟

+ لقد عاصر محمد على باشا وابنه ابراهيم حيث نعم الأقباط بسلام زمنى فى عهدهم. وساورته المخاوف فى ولاية عباس الأول.

✣ على كل لقد كان عباس باشا شديد البغض للنصرانية، ناقما على النصارى، لا سيما أهل البلاد، فأخرج الكثير منهم من خدمة الدولة، ومنع من استخدامهم، وبالغ فى إذلالهم، وأتى للمباشرين منهم بطائفة من الأحداث الأغرار وأبناء المكاتب، فجعلهم فى وظائفهم، والزمهم بتدريبهم وتعليمهم، وضرب لهم أجلا، فإختل نظام المصالح الديوانية، وتطرق الفساد إلى جميع الأعمال، وكسدت حرفة القلم وتحقرت.

+ لقد إشتد بغض عباس باشا للنصارى، حتى دبر أمر إخراجهم من وطنهم، وإبعادهم إلى أقاصى السودان. وأرسل إلى الشيخ الباجورى شيخ الاسلام يومئذ، يسأله فى ذلك. فلما جلس الشيخ قال له أسألك أمرا لا تكتمه على. قال وما هو يا أمير. قال إنى أقصد بتبعيد النصارى كافة، من بلادى ومقر حكومتى، إلى أقصى السودان، وقد دبرت لذلك تدبيرا فما قولك؟

+ لقد قطب الشيخ الباجورى وجهه وقال: "أى النصارى تعنى يا أمير.. إن كنت تعنى الذميين الذين هم أهل البلاد وأصحابها، فالحمد لله لم يطرأ على ذمة الاسلام طارئ، ولم يستول عليها خلل، حتى نغدر بمن هم فى ذمته إلى اليوم الآخر. وإن كنت تعنى النصارى الفرنجة، النازلين فى بلادك، فإنى أخاف إذا فعلت بهم شرا، أن يحل ببلادك ما حل بالجزائر من الفرنسيس.

+ لقد غضب عباس باشا من فتوى الشيخ الباجورى الصادقة، ونادى رجاله وقال لهم خذوه عنى. فقام الشيخ وترك مجلسه.

+ على كل لقد قتل عباس باشا. وتشاغل الناس عن جنازته حتى المقربون إليه والعائشون فى نعمته، وأبطئوا فى دفنه، فلم تخرج جنازته إلا بعد الظهر، وكان اليوم شديد الحرارة، فسارت جنازته فى نفر من خواصه وبعض الجند.

+ لعلك تريد أن تعرف بعض الأحداث التاريخية الهامة، فى عهد البابا بطرس الجاولى، مثل ما أدرك النوبة، بعد أن مضى على إنسلاخها من الكرسى المرقسى، مدة خمسة أجيال، وصارت محرومة من الرعاية

المسيحية، بعض إنقراض المسيحية من تلك البلاد، مع أزمنة الإضطهاد.فمما نذكره بالخير للوالى محمد على باشا، عندما قام بفتح أراضى النوبة وامتلاكها، أنه سمح بأن يرافق هذه الحملة، بعض المسيحيين المصريين. ولما تم الفتح صار لأولئك المسيحيين، اعتبار فى تلك البلاد فاستوطنوها، وقاموا ببناء عدة كنائس، ورسم لهم البابا بطرس أسقفا هو الأنبا دميانوس عام ١٨٢٣ ومن هذا الحين، تجدد كرسى النوبة، وهو عبارة عن بلاد السودان.

✤ لقد عهد البابا إلى أبنائه الأراخنة المباركين، بتجديد مبانى العمارتين، فى دير مارمرقس بالاسكندرية مع الكنيسة المرقسية. لقد حضر البابا بطرس الجاولى، إلى الثغر السكندرى لتكريس مبنى الدير والكنيسة، وكان يرافقه فى هذه الزيارة، قداستك يا أبانا المكرم الأنبا صرابامون. لقد دخلت ومعك لفيف من الأباء الكهنة، فى حفل تكريس الكنيسة المرقسية بالاسكندرية. لقد رتبوا كتب الأناجيل الأربعة فى أربعة أركان الكنيسة.

+ هل تعرف إلى ما يرمز إليه ترتيب كتب الأناجيل؟

✤ يرمز لعدل الرب، الذى قال "اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها.

+ كما رتبوا السبع منابر والأوانى الفخار المملوءة ماء حلوا.

✤ رمزا إلى ماء الحياة، الذى كل من يشرب منه لا يعطش، كما أوقدوا القناديل والشموع، وكل ما يلزم

حسب الطقس الموضوع لتكريس الكنائس.

+ ولما أكملوا كل شئ، حضر الأب البطريرك بملابسه الكهنوتية. وقاموا بالصلاة والقراءات فى الكتب المقدسة. ثم بتكريس الكنيسة على اسم الشهيد والرسول الكاروز مرقس الإنجيلى مؤسس الكرازة المرقسية.

✠ ثم بدأ البابا القداس الإلهى، وفى صحبته قداستكم يا أبانا صراباموون وتناولتما من الأسرار الإلهية، وكان هذا يوم الأحد ٧ بابه سنة ١٥٣٦ش.

+ لقد وجه البابا اهتمامه أيضا إلى كنائس أورشليم، فأرسل القمص يوسف وكيل البطريركية بالقاهرة، لتفقد المرافق هناك، وعند عودته قدم تقريرا مفصلا،عن حالة الأديرة والكنائس وما تحتاج اليه من اصلاحات.

✠ لقد جمع البابا أعيان الأمة وتشاور معهم، وتقدم إلى الوالى محمد على باشا طالبا توصية إلى إبنه ابراهيم باشا، ليسمح بالترميمات اللازمة فوافق.

+ وأرسل البابا بطرس من باشر أعمال الصيانة والترميم والتعمير، فعمر دير السلطان، وقاعة الملكة هيلانة، ودار سلم الناظر بجوار قبة القيامة، ودير مار جرجس، كما نظفوا بئر الملكة هيلانة، وأكملوا جميع المبانى الخاصة ببطريركية القدس فى أول ابريل ١٨٢١م.

✠ هل لنا أن نعرف المزيد عن دير السلطان، الذى أرسل البابا بطرس السابع رسوله، إلى نجاشى الحبشة للتفاوض بخصوصه؟

+ للأقباط بأرض بيت المقدس ديرا عظيما يعرف بدير السلطان، وهو على مقربة من كنيسة القيامة، وكانت تأوى إليه جماعة من الأحباش المتوطنين ببيت المقدس، كسائر الأغراب الذين لا مأوى لهم بتلك الديار. فإتفق أن وقع بين بعض أولئك الأحباش، وبين رهبان ذلك الدير، شقاق أدى إلى المخاصمة، ثم إلى التشابك بالأيدى. فلم يسع الرهبان إلا إخراج أولئك الأحباش خارج الدير المذكور، وسد أبوابه فى وجوههم. فتحزبوا وأرادوا الدخول عنوة فلم يفلحوا. فشكوا أمرهم إلى أصحاب الحل والعقد فلم ينالوا غرضا. وتقدم قنصل الانجليز ببيت المقدس، للأخذ بناصرهم وبالغ فى تعضيدهم، فقام أولئك الأحباش يدعون ملكية الدير المذكور.

+ وقالوا إن الذى أنشأه، هو أحد ملوك الحبشة ولذلك يسمى بدير السلطان وأما الأقباط فلا ملك لهم ولا سلطان، منذ دخول النصرانية بأرض مصر وإنما السلطان للأحباش.

+ وقال الأقباط غير ذلك، ان الذى بناه هو الأسعد، أحد عظماء القبط فى خلافة محمد المهدى ثالث خلفاء بنى العباس. وقد كان الخليفة المهدى قد أحسن إلى الأقباط، بقطعة الأرض الواقع عليها بناء الدير المذكور ورسم ببنائه على نفقته، فسماه الأقباط من يومئذ دير السلطان، اجلالا للخليفة المهدى وتعظيما. واشتد الخلاف وتحرجت الأمور بين الفريقين.

+ فأوعز قنصل الانجليز ببيت المقدس، إلى جماعة الأحباش برفع تظلمهم إلى دار السلطنة العثمانية، فسار نفر منهم إلى القسطنطينية. ووردت كتب

النجاشي فى ذلك إلى البابا بطرس السابع. فأرسل البطريرك بطرس، إلى مطران بيت المقدس ليفض هذا الخلاف بالتي هي أحسن. فبذل المطران الجهد فى إقناع الأحباش فلم يفلح، وإستفحل الأمر وتعذر الوئام وكبر التساهل على الفريقين، وقنصل الانجليز لا يقف عند حد. فلما أعيا البطريرك بطرس الحال، وخشى سوء المآل استقدم "داود" رئيس دير بوش، ورسم له بالذهاب إلى الحبشة سفيرا عنه، لفض الخلاف الواقع بسبب ذلك الدير. وكان لداود إقبال وحسن سياسة، فسار إلى الحبشة والتقى بالنجاشي وكلمه فى الأمر.

+ ولم يفلح «داود» وطال مقامه على غير طائل. فطلب منه البابا العودة. فتقدم إلى النجاشى فلم يأذن له، وعوقه أياماً أخر ثم سرحه، فوصل القاهرة بعد موت البابا بطرس، فلاقاه الناس بإحتفال عظيم للغاية،ونزل بدار البطريركية ضيفا، ولبث بها أياما. ثم إجتمع كبار الأقباط وأصحاب الرأى فيهم،وتشاوروا فى إقامة داود، خلفا للبابا بطرس الجاولى، فإتفقت كلمتهم على ذلك، وكان الأمر يومئذ إلى عباس باشا والى الديار المصرية.

✥ وأستأذنك يا أبانا، لنؤجل الحديث عن كيف تم إختيار داود بطريركا، باسم البابا كيرلس الرابع، وذلك عند تعرضنا فى حوارنا لسيرته.

+ على كل حال ان كان أبونا داود، قد جانبه الفلاح فى مشكلة دير السلطان، إلا إنه سوى الخلاف الذى كان بين الأثيوبيين والاكليروس وبين الأنبا سلامة مطران أثيوبيا، والذى كان مرجعه انحراف

الأثيوبيين والاكليروس، عن روح الكتاب المقدس.

✥ لقد قاوموا المطران مصرين على معتقداتهم وعاداتهم الموروثة. وخشي البابا بطرس انسلاخهم عن الكنيسة المرقسية، بعد أن ظلوا تابعين لها، منذ سنة ٣٣٠ ميلادية. ولكن لقد وفق الله القس داود اكبر توفيق، وانتهت المشكلة على يديه، بعد أن دامت قرابة الثلاثين عاما.

+ وما دام حوارنا ما زال ممتدا، بخصوص البابا بطرس السابع، فلعلك تريد أن تعرف، لماذا إستدعاه ابراهيم باشا إلى بيت المقدس، عندما كان حاكما لبلاد الشام؟

✥ كم أنا تواق لمعرفة السبب.

+ بعد أن إحتل ابراهيم باشا الأراضى المقدسة، أوعز اليه بعض الأشرار، بأن ما يدعى به المسيحيون، من ظهور النور على قبر المسيح، هو زور وبهتان. فصدق وشايتهم، وزاده ريبا علمه بأن النور، لا يخرج إلا على يد بطريرك الأروام بالقدس. فأرسل واستدعى البابا بطرس الجاولى، وطلب منه أن يصلى، ليخرج النور على يديه ليلة العيد، فى كنيسة القيامة. لكن البابا أفهمه، أن هذا الأمر، من حق بطريرك أورشليم للروم الأرثوذكس، وليس فى وسعه أن يتعدى على اختصاصه، حتى لا يدخل القبط مع الروم فى منازعات طائفية، قد تضر بحقوق الأقباط فى كنيسة القيامة. فقبل الباشا عذره، ولكنه أصر على أن يشترك معه فى الصلاة، ولما حان الوقت المحدد، دخل الحبران الجليلان ضريح المسيح ومعهما ابراهيم باشا. وأخذ يصليان بحرارة وانسحاق، فى الوقت الذى وقفت فيه جماهير الشعب، فى فناء

كنيسة القيامة، تنتظر معجزة السماء ومن حولها عسكر الوالى يشهرون السلاح. وبينما كان البطريركان يتوسلان إلى الرب، الذى وعد بنصر خائفيه، واذا بالنور الطاهر، يتفجر من القبر المقدس، بشكل أرعب ابراهيم باشا وأوقعه فى ذهول عميق، حتى كاد يسقط على الأرض، وجعل يقول«امان بابا.. امان بابا». فإحتضنه البابا بطرس، وخرج معه من القبر. لقد بلغ من شدة النور، أنه فلق أحد الأعمدة الرخامية وانبلج منه خارجا ورآه جميع الزائرين.

+ بعد أن رأى ابراهيم باشا هذا الحدث العظيم بعينيه، بالغ فى تعظيم البابا بطرس، وأعاده إلى القاهرة بكل إجلال. وقضى البابا بقية حياته يقضى بين شعبه، بكل حكمة وعلم مراعيا إسم مجد الله القدوس.

+ حتى مات فى ٢٨ برمهات سنة ١٥٦٨ (١٨٥٢م).

+ أستأذنك يا أبانا فى ذكر واقعة رددتها بعض الكتب، عن مصادر أشك كثيرا فى صحتها، وقيل أنها حدثت فى عهد البابا بطرس السابع.

+ مؤكد تقصد الواقعة التى فيها،حضر رجل إلى البابا بطرس، وقال له أنه تزوج من بكر، فلما إقترب منها وجدها ثيبا. فسأله البطريرك، وما هو الفرق بين البكر والثيب. فجاء الرجل بإناء من اللبن الرئب المختوم، وقال له هكذا تكون البكر، ثم عاد وغمس إصبعه فى الإناء وهو يقول. وهكذا تكون الثيب. فقال البطريرك لعن الله اليوم، الذى عرفت فيه البكر من الثيب.

+ أعتقد يا أبانا أن هذه الواقعة، تدعونا للوقوف

قليلا، للبحث في صحة هذه الرواية، التي تؤكد ملابساتها محاولة الاستخفاف بالعقول.

+ من المؤسف أن بعض المؤرخين، حاول خلع ثوب من القداسة المصطنعة، على بعض البطاركة، فلم يوفقوا فى تعبيرهم، وخرجوا بهم إلى حيز الجهل والبلادة، وهذه الرواية أحد هذه الأمثلة ولو دققنا قليلا فى هذه الرواية، لتأكد لنا مجانبتها للصواب.

✥ بالطبع.. فكيف البابا بطرس الذى كان واسع العقل والمطالعة فى الكتب الدينية والعلمية والتاريخية ومقابلة العلماء المتدينين الذين كان يناظرهم بالحكمة. كيف كان يجهل الفرق بين البكر والثيب؟

+ ليس هذا فحسب من البابا القديس الروحانى، الدارس للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، والذى كان شغوفا بقراءة الكتب الدينية، يجهل حكم التوراة فى قضية كهذه أسهب فى شرحها موسى، فى سفر التثنية (٢٢:١٢-٢٢).

لقد جاء فى سفر التثنية المعنى «إذا إتخذ رجل امرأة وحين دخل عليها أبغضها. ونسب إليها أسباب كلام وأشاع عنها اسما رديا وقال هذه المرأة إتخذتها ولما دنوت منها لم أجد لها عذرة. يأخذ الفتاة أبوها وأمها ويخرجان علامة عذرتها إلى شيوخ المدينة إلى الباب. ويقول أبو الفتاة للشيوخ أعطيت هذا الرجل ابنتى زوجة فأبغضها. وها هو قد جعل أسباب كلام قائلا لم أجد لبنتك عذرة وهذه علامة عذرة إبنتى. ويبسطان الثوب أمام شيوخ المدينة. فيأخذ شيوخ تلك المدينة الرجل ويؤدبونه. ويغرمونه بمئة من الفضة ويعطونها لأبى الفتاة لأنه أشاع إسما رديا عن عذراء من اسرائيل. فتكون له

زوجة لا يقدر أن يطلقها كل أيامه. ولكن ان كان هذا الأمر صحيحا لم توجد عذرة للفتاة. يخرجون الفتاة بنت أبيها. فتنزع الشر من وسطك. إذا وجد رجلا مضطجعا مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة فينزع الشر من اسرائيل».

+ فإذا أضفنا يا أبانا إلى ما أوضحته قداستك فى سفر التثنية وهو ليس بخاف مفهومه عن الكهنة والرهبان والبطاركة والوعاظ، وكل من يعرف القراءة ما قالته العذراء مريم للملاك "كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا" (لو١ :٣٤). أو المدائح التى وضعها البابا مرقس الثامن وكلها تدور حول بكورية العذراء التى ولدت المسيح وهى محتفظة بغشاء بكارتها.. هل كل هذا لا يجعل البابا بطرس السابع يعرف الفرق بين الزوجة والعذراء، وبين البنت والمرأة؟

+ فإذا اضفنا إلى كل ذلك، أن البطريرك بطرس السابع قد ولد من إمرأة، ووقف حياته ككاهن على الكثير من قضايا الأحوال الشخصية، فهل نغفل تفسيره للاية «ان بين الزوجة والعذراء فرقا. غير المتزوجة تهتم فى ما للرب لتكون مقدسة جسدا وروحا وأما المتزوجة فتهتم فى ما للعالم كيف ترضى رجلها» (١كو٧:٣٤).

+ ولعل من كل ما أوضحنا، يتأكد لنا أن هناك وقائع مغلوطة، يحاول المؤرخون إضافتها لسيرة هؤلاء القديسين، ظنا منهم أنها تضيف سموا للشخصية التى يكتبون عنها، وهى فى الحقيقة لا تشرف صاحبها، ولا تجعله راعيا ناجحا. لذلك ماأحوجنا لمن يعيد لنا،

صياغة حياة القديسين وسيرهم، وينقيها من هذه القصص والشوائب، التي تضر بسيرتهم، والتي يرويها -مع الأسف- بعض من ذوى العقليات السقيمة.

+ هل فى حوارك بقية.

⁜ بالطبع ينقص حوارنا الكثير من معجزاتك.. والكثير من مواقفك الحكيمة. ويا ليتك يا أبانا تقص لنا، عما حدث أثناء صلاتك القداس الإلهى، بكنيسة السيدة العذراء بشبين الكوم؟

+ كان بعض الأولاد يلعبون خارج الكنيسة بجوار بئر، فسقط فيه الصغير ميخائيل تادرس.

⁜ لقد صرخت يا أبانا أثناء صلاتك القداس، وقلت يا أم النور حوشى، ثم طلبت ممن حولك، أن يذهبوا إلى البئر لينقذوا ميخائيل.

+ فخرجوا مسرعين ونادوا الطفل ووجدوه سالما، وأنزلوا له حبلا ليربط به نفسه. ولما خرج تحدث كيف أن سيدة وجهها مشرق، تلقته وقالت له لاتخف، وبقى كذلك حتى جاءوا وأخرجوه. لقد خرج بقوة الله والصلاة وشفاعة أم النور.

⁜ ماذا حدث يا أبانا عندما كنت ذاهبا إلى كنيسة حارة زويلة؟

+ كان القاصد الذهاب إلى كنيسة حارة زويلة، لا بد له أن يمر فى شارع درب مصطفى، الذى لم يكن يوصل إلى الكنيسة غيره. وكان هذا الشارع يقطنه الكثير من البغايا. وذات يوم وأنا أمر بهذا الشارع،

فى طريقى إلى حارة زويلة، فوجئت بإحدى الباغيات تتعلق بى، بعد أن تراهنت مع زميلاتها، أن تهيننى فى الطريق. طلبت منها بلطف أن تتركنى فلم تفعل، بل شددت على بقبضتها، وأمسكتنى فى خلاعة أثارت ضيقى وغيظى.

+ فرفعت عينيك للسماء، ودعوت عليها قائلا: "اليد التى أمسكتنى تشل".

+ لقد صرخت المرأة حالا من الألم الذى لحق بيدها، وطلبت إلى أن أشفيها.

+ لقد كان قلبك كبيرا، فشفقت عليها وشفيتها.

+ لك أن تعرف، أنه بعد ذلك، لم تجرؤ احدى هؤلاء البغايا، أن تحاول السخرية من أى رجل دين، يمر بهذا الشارع، فى طريقه إلى كنيسة زويلة.

+ لقد كنت يا أبانا صراباموت، تكره الطلاق كراهية شديدة، حتى أنك لم تطلق فى مدة رياستك أحد.

+ ولما كان يستعصى على إرضاء الزوج أو الزوجة، اذا تحققت أن احدهما مظلوم، كنت أقول له «انشاء الله أزوجك فى العام المقبل»، فلا يأتى الميعاد إلا ويتوفى الظالم، ويتزوج بطبيعة الحال المظلوم.

+ ماذا حدث عندما دخل عليك زوج، فى حالة غضب شديدة، وأفهمك أن إمرأته حادت عن طريق العفة، ويشك فى وجودها فى أحد بيوت البغاء.. بماذا عالجت الأمر يا سيدنا؟

+ طيبت خاطره وهدأت روعه، وقلت له يخلق من الشبه أربعين، وربما التى رأها لم تكن زوجته، وصرفته عل أن يعود إلى فى صباح الغد. وتوجهت إلى البيت، الذى شك الزوج بوجود زوجته هناك، وبعد أن أردتديت ثوبا علمانيا فوق ثيابى الكهنوتية. ولما دخلت تقدم إلى النسوة المقيمات، فسألت عن السيدة بالاسم فأدخلونى اليها. وما أن اغلقت الباب، حتى خلعت الثوب العلمانى.

✣ وعندها سقطت المرأة على قدميك تذرف الدموع، واعترفت لك بما حدث بينها وبين زوجها، وأنها جاءت إلى بيت الخطية نكاية فى زوجها الذى ضربها وأهانها وقلل احترامها أمام الجيران.

+ لقد ركعت على الأرض، باسطا يدى مصليا باكيا، واذا بالمسكينة التى رأت دموعي الغزيرة، تقترب منى وتطلب المعونة والمغفرة والصفح، وأقسمت لى أنها لم يمسسها أحد من الرجال. وأخذتها من يدها، وسلمتها إلى كاهن فى بيته. ثم تركتها بعد أن طلبت اليه أن يوبخها حتى تظهر ندمها، وتتعهد أمامه بالسير بالإستقامة والخضوع لزوجها، والسلوك بمخافة الله ومرضاته.

✣ وطلبت قداستكم من هذا القس، أن يأتى اليك صباحا متشكيا من ضيق المسكن وغلاء المعيشة، وحتمت أن يكون ذلك فى حضور زوجها.

+ وحضر القس معتذرا عن إستضافة المرأة، متشكيا من إعالتها. فقلت له: يا خطيتك يا صليب.. أخطيت يا بوى حلنى وقم إحضرها.

✣ ولما كان القس كان قد ترك المرأة فى غرفة

مجاورة، فذهب وأحضرها، ولما دخلت المرأة ووجد الزوج أنها إمرأته، وأنها كانت فى بيت القس لا فى بيوت البغاء، فقبلها وبعد التفاهم والعتاب تم الصلح والسلام، وتعهد كل منها بالحياة مع الآخر، بأمانة ومحبة وسلام وخوف من الله.

+ لقد كنا نعمل ذلك، بعد إستشارة الرب وإرشاد الروح القدس الذى يعمل فينا بقوة.. فالإتضاع مع القوة، واللطف مع الحزم، نتيجة لعمل الروح القدس فى داخلنا.

✢ ماذا حدث عندما دفع حب الاستطلاع أحدهم، إلى معرفة ماذا تعمل يا أبانا فى قلايتك؟

+ لقد تخفى فى الظلام، ووقف عند باب قلايتى يتسمع. ناديته بإسمه وقلت له روح الله يباركك.

✢ فوقع مغشيا عليه، وعاد إلى بيته مريضا.

+ فى الصباح حضر إلى طالبا السماح، فصليت عليه وشفى.

✢ كيف تم شفاء شاهين المدراوى من أمراضه المستعصية؟

+ لقد كان شاهين مشلولا ويحمل على الأكتاف، لأنه لا يستطيع المشى، لقد أحضره أهله، وأجلسوه فى حوش الكنيسة مع المصابين بالأرواح النجسة. ولما وصلت من سرحتى ودخلت، صليت على زجاجة مملوءة بالماء، ورشيت عليهم فبرأوا جميعهم، أما شاهين فلم يؤثر فيه الماء المقدس، وأخذ يبكى وصرخ بصوت عال، وقال: «لقد

شفيت الجميع يا سيدنا وأنا لم تشفنى».

✝ لقد قلت له قداستك، يا ولدى مرضك إرتخاء طبيعى وليس روح نجس، فتوهم شاهين أن قداستك تريد أن تقول له "لا سبيل لشفائه"

+ فتضرع إلى بالبكاء، وقال صلى لى يا أبتى... صلى على يا معلمى.

✝ لقد تأثرت يا أبانا الشفوق، وبدأت تبكى معه وأنت تقول "يا لعظم خطيتك يا صليب" وسألته عن إسمه وصناعته.

+ لقد قلت له انشاء الله تشفى يا شاهين، بقوة يسوع المسيح، وتدرى يا شاهين.. وطلبت قلة ماء وصليت عليها، ثم قلت لأسرته أن ياخذوا الماء المبارك، ويسخنوه ويستحم به، ويدهن به جسمه وهو يشفى بقوة الله.

✝ ففعلوا كما أمرتهم يا سيدنا، فقام سالما معافا من كل ألم. فى صباح اليوم التالى، حضر شاهين ماشيا على قدميه، شاكرا قداستك على تحننك وعطفك.

+ وبدأ يمارس عمله «يدرى القمح»

✝ لم تكن صلاتك من أجل الانسان فقط للشفاء، بل للحيوان أيضا.

+ تقصد المرأة التى وجدتها تبكى، أثناء مرورى بالقرب من حديقة الأزبكية، ولما سألتها سبب البكاء، فقالت لى أنا بأبكى على بغل لى يجر عربتى، وقد سقط منى فاقد الحركة والتنفس، من عبء الحمولة

وثقلها والحر الشديد. لقد أشار عليها بعضهم، بأننى الذى يمكننى أن أقيم لها بغلها.

✠ لذلك عندما راتك تسير فى الطريق، امسكت بطرف ثوبك، وقالت لك: "أقم لى بغلى يا رجل الله" وصرخت مكررة النداء.

+ لقد صليت على البغل، واستجابت السماء، فقام البغل وعاد للحركة، ومضت المرأة فرحة مسرورة، تخبر بكم صنع بها الله ورحمها.

✠ على يديك يا رجل الله.

+ الصوم والصلاة والقدسات تصنع المعجزات يا ولدى.

✠ المعجزات جعلت الميت يقوم.

+ تقصد ذلك الطفل، الذى كان عمره عشرة أشهر، فمرض ثم مات، ولما كنت اتوجه لزيارة منزل أسرته كل يوم سبت. لذلك أبقت الأم ولدها لليوم التالى. وعند حضورى، وجدتها أسرعت بإبنها باكية، ووضعته فى حجرى، وقالت بدموع الحزن والأسى: وحيدى يا أبى قد مات.

✠ فصليت قداستكم، وفككت الأربطة بيديك، ونفخت فى وجهه.

+ وقلت للأم لا تخافى ابنك بخير بإذن الله، وسيباركه الرب ويفتح البيت.

✠ وبينما المعزين جلوس فى دهشة من قولك، إذ بالروح تعود حالا إلى الطفل، ورفع يديه وبكى، ثم رضع

وعاش، حتى أحيل إلى المعاش فى مايو ١٩٠٩م.

+ ولكن من الذى روى لكم هذه الحادثة.

✤ لقد رواها يواقيم بك منصور، الذى كان يعمل وكيل إدارة بالسكة الحديد، وقال إنها حدثت له شخصيا وهو طفل، ورواها له الأهل والأقارب عندما كبر.

+ ما أكثر محاربة الشيطان لى بروح الفخر والإعجاب.. لقد صور لى أننى أفضل من غيرى قداسة.

✤ لقد سمعوك مرة تقول "بقا يا صليب أعطيت مواهب الشفا ياصليب" إنت يا عفش.. إنت يا نتن.. إنت يا وحش تخرج الشياطين يا صليب.. تشفى المرضى يا صليب".

+ لقد كنت أجاوب نفسى، بحدة وغضب شديدين، وأقول يا أخى دى قوة الله يا صليب.. دى قوة الله.

✤ ما الذى أغضب القمص منصور فرج كاهن كنيسة البتانون منوفية منك؟

+ كنت أنزل ضيفا على القمص منصور، وكانت له إبنة واحدة. وكانت عادتى أن أسأل مضيفى مبتسما «ما عندكش وليدات يا أبونا منصور»

✤ ولما أجابك أبونا بأنه عنده بنت واحدة، أطرقت برأسك ولم تبد علامة البركة، وقلت له (كبه)، وبعد زمن ماتت الإبنة.

+ وبعد ذلك رزق القمص بإبنة أخرى، ثم ذهبت لزيارتهم ونزلت ضيفا فى بيته، وسألته نفسى السؤال فقال بنت.

✣ وأجبته قداستكم في تعجب بنت؟ كبه تاخدها.. فماتت هى الأخرى ولحقت بأختها، فحزن والداها كثيرا، ولم يتكلما بشئ أمامك يا أبانا.

+ ولكن بعد وقت توجه القمص منصور إلى القاهرة، وعرف أننى أصلى فى كنيسة العذراء بحارة زويلة. فحضر إلى للسلام، وبعد القداس قابلنى، ودعوت له بالبركة. وجلسنا أنا وهو مع الشعب كالعادة لنشرب القهوة.

✣ وسألت قداستك أبانا القمص كالعادة "عندكش وليدات اليوم يا بوى منصور" فأجابك بحزن: مابقولش يا سيدنا. فسألته قداستك: ما تقوليش ليه.

+ فقال القمص أقولك ليه.. الله يجيب وإنت تودى، وأنا محتاج لظفر بنت. عندئذ قلت للقمص ما عدتش يا بوى منصور، وأخذته من يده ودخلت إلى الكنيسة، وأوقفته عند باب الهيكل، وأمسكت بيده متجها للشرق.

✣ وقلت بصوت عال بكل ثقة ودالة.. يا يسوع الناصرى.. ولدين لأبوى منصور ويعيشوا. وخرجتما من الكنيسة.

+ وفعلا استجاب الله، فعاشت الإبنة الأخيرة، كما رزق بولدين توأم، ثم ولدين آخرين. وهم فرج منصور والقمص منصور وتوما ومرقس.

✥ ما الذي حدث حين سرت في طريقك، قاصدا إحدي قري المنوفية، وانهمرت الأمطار بغزارة حتي تعذر المسير؟

+ لقد جاهدت بتعب شديد، حتي وصلت الى أقرب بلد فى طريقى، وسألت عمن يمكن أن يأوينى، فدلونى إلى بيت الصراف المسيحى.

✥ فقصدته إلا أن زوجة الصراف، إمتنعت عن إضافتك، لأن صاحب البيت غير موجود.

+ لقد قلت لها يا ابنتى أنا الأسقف صرابامون، والمطر بللنى والوقت ليل، وهذا البيت المسيحى، وأنا لا أطلب إلا الإيواء، ولو فى حوش البيت، دون تكلفتكم شيئاً. إصنعى يا إبنتى معروفاً وآوينا، فى هذه الليلة الممطرة الباردة.

✥ ولكن المرأة أصرت على رأيها.

+ الحقيقة تضايقت، وسألت هل من رجل كريم فى هذه البلدة. دلونى على منزل العمدة السابق وإسمه «حميدو»، وقد أصبح فقيراً لا يملك سوى الدوار.

✥ ولما قرعت قداستك الباب، وعلمت زوجة حميدو أنك أسقف النصارى، الأنبا صرابامون المعروف، فتحت الباب ورحبت بك، وأرسلت لزوجها فحضر، وقال اليوم علمت أن الله رضى على.

+ وأضافنى ضيافة كريمة، وكعادتى وجهت سؤالى التقليدى الى حميدو وهو «عندكش وليدات يا بوى» فأجاب بأن زوجته لم تلد

أبداً.

❖ فدعوت له بعمار البيت، وقلت له إنشاء الله فى العام القادم، يكون عندك ولد.

+ وصليت على قلة ماء، وقلت له خللى الحاجة تستحم بها، وإنشاء الله يكون لها ولد. فتقبل منى ذلك بأمانة وإيمان.

❖ وقبل يدك، وفى الصباح توجهت قداستك إلى القرية التى كنت تقصدها.

+ لك أن تعرف، أن حميدو لم تمضى عليه السنة، حتى عاد إلى وظيفته وعادت إليه العمدية والثروة، وأنجبت زوجته ولداً ثم أولاد. وقد رتب حميدو مقرراً سنوياً، كان يقدمه لى بعد أن يضايفنى فى منزله بكل حفاوة، واستمر على ذلك حتى نياحتى.

❖ أما بيت الصراف فقد حرم بركتك، فقد حدث فيه حريق فى منزله، أدى إلى خرابه وهدمه، وتسبب فى احتراق بعض الأوراق الهامة التى فى عهدته، مما نتج عنه فصله من عمله. ولما بلغتك ظروف الصراف المؤسفة، حزنت جداً لما حدث له. وهتفت صارخاً إلى الله قائلا له: "أنا قلت لك سامحه .. سامحه ولا تعاقبه"

+ واهتميت بالصراف وزوجته، وسعيت لإصلاحه وتقويمه، ولم تنساهم الكنيسة هما وأولادهم.

❖ هل حقاً أراد الوالى عباس باشا الأول إعدامك ؟

+ لقد وشى بى بأننى أكبر السحرة. ولما أصدر الوالى عباس باشا أمره، بإعدام جميع السحرة والمنجمين، طلبنى الأمير ليقتلنى. وكان ذلك يوم الجمعة العظيمة، ولما توجهت إليه قابلنى بازدراء، وقال لى إنت من السحرة والدجالين.

✥ أجبته قداستكم بأنك رجل مسكين، ولا تدرى شيئاً من ذلك، فسألك ألم تكن أنت الذى شفيت زهرة هانم بنت محمد على باشا ؟

+ لقد إمتلأت من القوة الإلهية، وصرخت قائلا: هذه قوة الله

✥ لقد أثارت هذه العبارة، رهبة فى نفس الوالى، وقال لقداستكم آمان يا بابا.

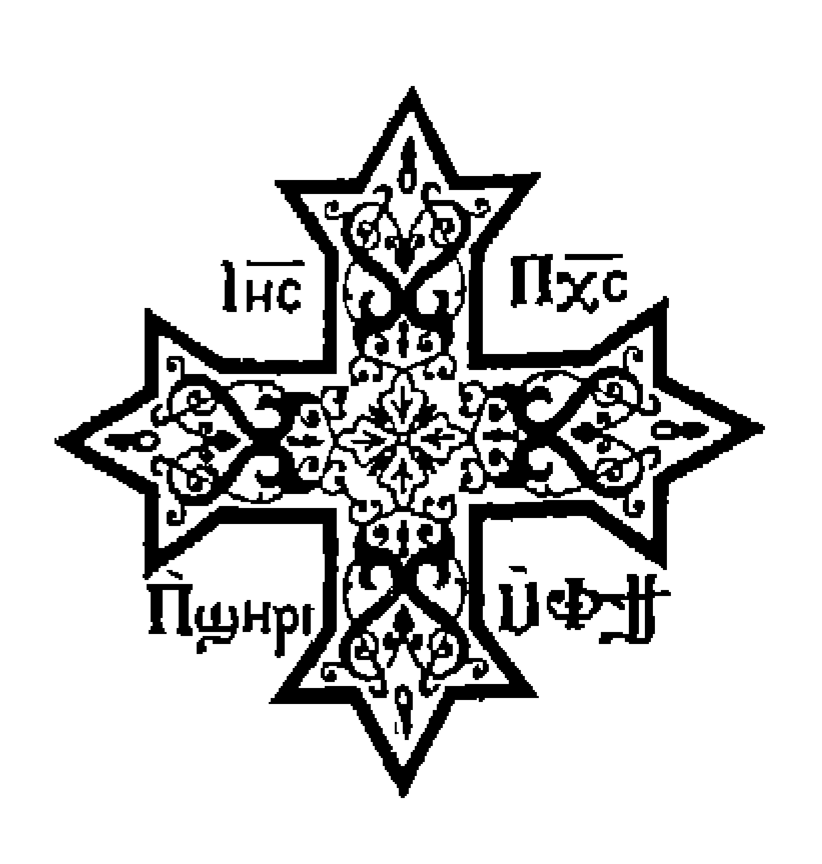
+ ثم طيب خاطرى وأكرمنى وصرفنى بكل وقار.

✥ ما الذي حدث عند زيارتك لمنزل شاروبيم أغا ؟

+ شاروبيم هذا أحد الرجال المحبين للكنيسة. لقد زرته يوماً ولاحظت فى منزله حائطاً فيه شرخ كبير. ولما شاف شاروبيم الشرخ إضطرب وخاف من سقوط البيت. ولكننى قلت له ألا يخاف من هذا الشق الذى فى الحائط فإنه يبقى مائة سنة.

✥ لقد ضربت يا أبانا صرابامون هذا الشرخ، بعصاك ثلاث ضربات فإنضم الشق، وعاد الحائط صلباً كالحديد، حتى عندما عمل شاروبيم الترميمات العديدة للبيت، بقى الحائط كما هو، ولم يقو العمال على إزالته.

+ أرجو ألا تنسى أن كل ما تطلبونه من الآب بإسمه تنالونه. وإن كنت قد عملت معجزات وعجائب، فقد كانت كلها بالصلاة والصوم، وقوة ومحبة الآب والإبن والروح القدس.



البابا كيرلس الرابع

+ ✥ ولما كان قد طال عمرك يا أبانا حتى السنة الأولى من رسامة البابا كيرلس الرابع الذى كانت حياته كلها صلاح وإصلاح وبركة لذلك أستأذنك لتقدمه لأبناء جيلنا حتى يسعدوا بسيرته الذكية.

+ ولد بقرية نجع أبو زقالى بالصوامعة شرق التابعة لأخميم بمديرية جرجا عام ١٨١٦م. وسمى داود. وكان والده توماس بن بشوت أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، ومع ذلك إعتنى بتعليم إبنه القراءة باللغة العربية والقبطية والحساب.

✥ لما كبر إشتغل مع والده بالزراعة. وإختلط بالعربان المجاورين لقريته، وتعلم منهم ركوب الخيل والجمال، حتى إشتهر بالفروسية. منذ نشأته كان تقياً ورعاً محباً للفقراء، حسن النية ميالا للعزلة والإنفراد، شديد الرغبة فى معرفة حياة القديسين.

+ لما بلغ الثانية والعشرين من عمره، مال إلى الرهبنة، وعندما عزم على الرحيل منعه والداه إلا أنه خرج هارباً وقصد دير الأنبا أنطونيوس، وترهبن على يدى القس أثناسيوس القلوصنى رئيس الدير. الذى توسم فيه النعمة، وأنس فيه الأهلية والكفاءة. وقبل أن يتم سنة بالدير، أظهر الورع وأصالة الرأى والذكاء، والميل إلى قراءة الكتاب المقدس الذى كان يجمع الرهبان ليقرأه عليهم ويشرحه لهم ويحببهم فى مطالعته.

✣ لقد سر منه رئيس الدير فرسمه قسيساً ، وصار يعتمد عليه في إنجاز الأمور المهمة، وعهد إليه بتدبير أمر الرهبان. ومع ذلك لم يمل قط بالتباهي أو التفاخر بفضائله كما كان يكره الأنانية.

+ لقد وصل خبره إلى البابا بطرس السابع (الجاولى)، فإستدعاه إليه وباركه.

✣ وشاركته قداستكم يا أنبا صرابامون في منحه البركة، وتنبأت له بمستقبل حسن. ولم تمض سنتان على وجوده بالدير، حتى مات رئيس الدير، وأجمع الرهبان على إختياره رغم حداثة عهده، وكتبوا للبابا بذلك فأقرهم على أختياره، ورقاه إلى رئاسة الدير.

+ وبدأ يتألق. بادر إلى وضع نظام للدير، فحرم على الرهبان مغادرته إلا لضرورة قاطعة، وأخذ فى إصلاح أحواله الأدبية والمادية.

✣ كما حاول توسيع دائرته ومعلوماته، فاهتم بدرس النحو والصرف، وعني بتعليم الرهبان، فجمع لهم الكثير من الكتب ليطالعوها فى الدير، ويتناقشوا في موضوعاتها الدينية والأدبية والتاريخية. كما فتح كتابا في بوش لتعليم الأولاد اللغتين العربية والقبطية.

+ لقد كان له الكثير من النوادر حينما كان رئيسا للدير.. فقد أراد أن يرد الزيارة لمن زاره، فمر عمدا من طريق يوصل للجامع فألقاه متهدما، فلام المسلمين على ذلك، ووعدهم بمساعدتهم إذ هم شرعوا فى بنائه، كل ذلك كى يساعدوه عندما ينتوى بناء عزبة الدير ببوش.

⁜ ذات يوم بينما كان يلبس لباس الأعراب، حال رئاسته لدير بوش، إصطحب معه بعض الأعراب لزيارة الدير، ففكر شيخ الأعراب في سلب القس داود ومرافقوه قاصدى الدير. ولما وقف القس على سوء نيته دبر طريقة للتخلص منه. وانتهز فرصة ليلة حالكة الظلام، وقفت فيها القافلة للراحة. خرج ذلك الشيخ من خبائه وتوغل في الصحراء لقضاء حاجته. فتعقبه القس وهو مرتد برداء الأعراب، وقبض على سلاحه وأمره بخلع ملابسه، فأذعن الشيخ رغما عنه -ولكنه عرفه بنفسه ورد له سلاحه-

+ فعدل الشيخ عما كان ينويه.

⁜ ذات يوم قصد إلى المنيا بعض الأعراب لشراء مواشى للدير، ونزلوا ضيوفاً بدار الأنبا ياكوبوس أسقف المنيا المشهور بالكرم وحسن الضيافة، وقبل إنصرافهم من عنده، مال إليه القس داود بلباس الأعراب وقال له: أنا القس داود بقيت لأشكرك.

+ فذعر الأسقف وأستنجد بخدم البطريركية، أما القس داود قد لحق أصحابه وأمعنوا فى السير.

⁜ لقد حدث أيضاً أنه كان يتفقد زراعة الدير، فشاهده أعرابى وهو بلباس الرهبنة، فقال له "أنزل يا نصرانى عن الدابة ليسرقها منه، فإستعطفه فلم يقبل بل لطمه على خده. وإتفق أن زلت قدم الإعرابى فى بركة ملآنة

بالطين، فتركه القس داود يغسل ملابسه. وانطلق الأعرابي يشتكي لرئيس الدير، الراهب الذى دفعه إلى البركة، فقابله هو وقال أنا هو الراهب الذى لطمته، ومع ذلك فاني مسامحك. وأعطاه نصف أردب قمحا ومثله شعيرا.

+ عندما كان رئيسا لدير بوش زار الدير المحرق. فطلب منه راهب غضب عليه رئيسه، أن يتوسط فى الصفح عنه، فأبى الرئيس قبول وساطته. ولما جاء المساء إجتمعوا للصلاة، طلب منه الرئيس أن يتقدمهم فى العبادة. فبدأ بتلاوة الصلاة الربانية بصوت عال، حتى انتهى إلى قوله واغفر لنا ذنوبنا، فقالها هكذا «ولا تغفر لنا ذنوبنا، كما نحن أيضا لا نغفر للمذنبين الينا». فنبهه رئيس الدير ظنا أنه أخطأ، وعندئذ أجابه هل نكذب على الله.. وهل أنت غفرت خطية أخيك حتى يغفر لك؟ فخجل الرئيس وأسرع بمسامحة الراهب.

✣ لقد صادف انتخابه بطريركا عقبات كثيرة. فهل لنا أن نعرف كيف تم إختياره بطريركا؟

+ عند وفاة البابا بطرس الجاولى، كان القس داود منتدبا للقيام بفض نزاع، بين الأحباش وبين مطرانهم فى الحبشة. وقبل عودته إجتمع الأساقفة وكبار الأقباط فى الدار البطريركية لانتخاب البابا الجديد. وإقترح البعض القس داود.

✣ وعارض البعض هذا الإختيار، بحجة أنه بالحبشة منذ فترة طويلة، ولا يعرفوا عنه شئ واقترحوا إنتخاب الأنبا يوساب أسقف أخميم.

+ وبالرغم من مغادرة القس داود الحبشة، ووصوله إلى أرض مصر وإزدياد مؤيديه للترشيح بطريركا، وتقدم كبار الأمة بالتماس للخديوى عباس باشا الأول، بإقامته بطريركا إلا أنه ماطل.

✥ وسبب مماطلته أنه إستشار قارئى الطالع، فى انتخاب القس داود، فأرجفوا وهولوا وقالوا نكد وخصام وشدة وموت للوالى وتمزيق شمل أتباعه. وأبلغ كبار الأقباط بواسطة جاد شيحه برفض الخديوى عباس هذا الإختيار. فإنقسموا بين مؤيد ومعارض.

+ ولما كاد الشقاق يستفحل، إستعان أنصار القس داود بالمستر ليدر أحد مرسلى جمعية التبشير الانجليزية، وطلبوا منه التوسط لدى قنصل الانجليز ليكلم عباس باشا. فكلمه ووعده ولكنه ماطل فى وعده. حتى قدم من الحبشة قسيس حبشى ومعه الكثير من الهدايا الثمينة وكتاب من النجاشى لعباس باشا. فقابله ومكث عنده أياما ثم بدأت الإشاعات تتردد.

✥ بأن القس داود سار إلى بلاد الحبشة، ليستعين هو وقومه بالنجاشى، على الخروج عن طاعة الوالى. فإستدعى القس وإستجوب فى مجلس الأحكام، وبالرغم من محاولتهم إثارة القس، ليعترف بما كان بينه وبين النجاشى، إلا أنه كان هادئا ثابتا يتكلم برزانة وينفى كل التهم التى حاولوا أن يلصقوها به.

+ مما أثار حفيظة عباس باشا فإغتاظ. واشتد بغضه للأقباط، فأمر بإخراج الموظفين منهم من خدمة الحكومة، ونفى بعضهم، وأذل من

كانت الحاجة إليهم شديدة. وإستدعى رئيس الديوان «جاد» وعرفه برغبة الوالى، فى إختيار بطريرك غير داود، وطلب منه التعجيل فى ذلك هروبا من وساطة القنصل.

+ ولما عرف الأقباط تمزقت وحدتهم. فالبعض الذين كانوا مع أسقف أخميم، حاولوا استخدام الحيلة، بأن يجتمعوا بالليل ويرسمونه بطريركا، حتى إذا أصبح الصبح، وجد أنصار القس داود، أن السهم قد نفذ فيرضخون مكرهين. وتم اجتماع الأساقفة وبعض أنصار أسقف أخميم وجاد أفندى وأقاربه، وأغلقوا عليهم أبواب البطريركية، ووضعوا عليها حراسا، وبدأوا يتممون رسامته سرا.

+ ولكن حيلتهم لم تتم، وخرج عريف أعمى وطاف بالشوارع، وأيقظ الأقباط من نومهم، وعرفهم بما يجرى فى البطرخانة. فإنطلقوا واقتحموا الأبواب وكسروها، وأخرجوا الأساقفة رغما عنهم وتعالى الصياح.

+ وخابت المساعى وطفق أنصار أسقف أخميم يختلقون الأقاويل وأشاعوا أن القمص داود فى مدة إقامته بالحبشة، تزوج من امرأة وله منها ولدان.

+ لقد كان أساس هذه الإشاعة، القسيس الحبشى الذى قابل عباس باشا وأفهمه أن القس داود سار إلى بلاد الحبشة، ليستعين هو وقومه بالنجاشى، على الخروج على طاعة الوالى. وكان هذا القس قد حضر ليقابل البابا بطرس ويشى بالقس داود، ولكن البطريرك كان قد مات.

لذلك أطلق هذه الفرية حتى يعطل رسامة القس داود.

✥ وعطلت رسامة القس داود بطريركا. ولكن قنصل الانجليز حذر عباس باشا، بأن الفتنة قد تعم والعاقبة وخيمة، والخلاف ظل قائما عشرة أشهر، انتهى بتوسط بطريرك الأرمن، بتعيين القس داود (مطرانا) على مصر، واذا إتضح أنه لائق يتقلد البطريركية. فسمح عباس باشا بذلك.

+ ولكن جماعة الأحباش الذين لا يحبوا داود، جمعوا بعض العامة ومعهم العصى، ودخلوا الكنيسة قبل تمام الرسامة، وصاحوا فى وجوه المصلين بالسب والشتم واشتد الهياج، فهرب الأساقفة، وحاول الأحباش تعقب القس داود ليغتالوه، فوجدوه قد اختفى.

✥ ولكن الكلمة كانت قد اتحدت على رسامته مطرانا، فرسم فى اليوم التالى ودعى كيرلس، وكان ذلك فى يوم ١٠ برمودة ١٥٦٩ (١٨٥٣م).

+ لقد حال خصومه بينه وبين انجاز مصالح الطائفة، واشتدوا عليه وضيقوا الخناق، فلا يزوره أحد إلا بموافقتهم، ولا يأكل إلا ما يقدموه اليه، ومع ذلك ظل الأنبا كيرلس المطران، ساكن هادئ يباشر أعمال الطائفة. فبدأ ببناء مدرسة كبرى أقيمت لتعليم شبان الأقباط، فكان بناؤها موجبا لإجماع الجميع على إختياره بطريركا. كما أوصى بعدة أمور منها،منع الكهنة من عمل عقد أملاك عند اجراء الخطوبة، وتحذير الكهنة من تزويج البنات القاصرات، وتحذير زواج النساء المترملات المتقدمات فى السن من الشبان. ويتحتم أخذ رضاء وموافقة

الزوجين قبل الإكليل المقدس.

+ فلما رأى خصوم المطران، بوادر نشاطه وغيرته المتقدة على تقدم شعبه، إتفقوا مع أنصاره، على تنصيبه بطريركا. وقام الأحبار المعاصرون، وكتبوا تذكية بترقيته بطريركا.

+ وتمت رسامته باحتفال عظيم، ولقب البابا كيرلس الرابع فى الأحد ٤ يونيو ١٨٥٤م. ولم يمض على إرتقائه منصب البطريركية قرابه أربعين يوما، حتى عاجلت المنية الخديوى عباس بالقتل، فإرتاح من شره الأقباط، الذين عزم على تقليل نفوذهم من الدواوين، والعمل على طردهم من البلاد إذا أبوا الإسلام كما سبق وأوضحنا. وتخلصوا بموته من الخوف والذعر. وتولى مكانه سعيد باشا الذى تمكن الأقباط فى عهده من المعيشة مع مواطنيهم من المسلمين فى سلام ومحبة.

+ كيف بدأ البابا كيرلس الرابع، البطريرك (١١٠) عهده البابوى؟

+ لقد سعى فى جمع القلوب وازالة أسباب النفور ووفقه الله فى هذا. ثم عكف على العمل لما فيه خير الأمة ورقيها، فنظم ادارة البطريركية والأوقاف، وأتم بناء المدرسة واختار لها أساتذة ماهرين فى تعليم اللغات الحية، وجعل التعليم فيها، والكتب مجاناً. ومن شدة إهتمامه بالمدرسة، كان يزور غرف التدريس كل يوم مرتين ويستمع لإلقاء الدروس، ويقول للأساتذة أننى قد علمت اليوم أشياء لم يكن لى علم بها.

+ ثم أنشأ بالمدرسة قاعة كان يستقبل فيها الزائرين،

وخاصة الأجانب الذين كان يكلفهم بفحص غرف التدريس وابداء ملاحظاتهم، فى ما يعود على المدرسة بالنجاح. لقد جعل تعليم اللغة القبطية جبرا وكان يشرف عليه بنفسه. كما أنشأ مدرسة بحارة السقايين، عندما وجد الطلبة يتكبدون مشقة الحضور من جهات بعيدة إلى المدرسة، وكان يزورها كل أسبوعين ويسأل عنهم دائما.

+ ومع الأسف كان الاقبال على التعليم فى مدرسة الازبكية قليلا فلم يزد عدد طلبتها عن ١٥٠ طالبا.

✣ ترى ما سبب ضعف الاقبال على التعليم حينذاك؟

+ السبب يرجع إلى العرفان فقد سعوا يلقون الفتن ضد البابا فى البيوت، وأوهموا أهالى الأولاد وأشاعوا، بأن بين البطريرك والوالى عقدا أن يجند له الأولاد ألوفا. حتى اذا وصل إلى البطريركية، شئ من الأدوات المدرسية الخاصة بالمدارس، بكوا وناحوا وقالوا هذه آلات الحرب.

✣ على كل حين رأى البطريرك تفاقم الخطر من هذه الوساوس وعرف مصدرها. استرضى بحكمته العرفان، بأن أناط بهم التعليم الأولى فى المدارس التى أنشأها. ولم تمض مدة حتى تقدم التعليم فيها، ونجحت نجاحا باهرا، وأنجبت تلاميذ يجيدون التكلم باللغات المختلفة.

+ لقد كان ابابا يدعو سنويا كبار القوم، ويوزع الجوائز الثمينة على

التلاميذ الذين يبتغون تشجيعا لهم وتنشيطا لسواهم، وكان معظم التلاميذ من أبناء الوجهاء، ولهذا كان يعاملهم معاملة حسنة وينبه الأساتذة ليربوهم تربية سامية.

+ لقد كان من شدة غيرته، أن وجد مرة أحد الأساتذة نائماً، فأمر بإحضار "فلقة" ليضربه، لولا أن شهد تلاميذه بمرضه. كما كلف القمص تكلا أحد قسوس الكنيسة الكبرى بالأزبكية،والذى كان مشهودا له بإجادة وإتقان الالحان الكنسية، بأن يختار من التلاميذ عددا من ذوى الأصوات الحسنة، وعهد اليه بتعليمهم وأعد لهم ملابس خاصة، وكانوا يقومون بالخدمة فى الكنيسة. لقد كان ذلك داعيا لفرح الأهالى فأقبلوا بأولادهم إلى المدرسة وواظبوا معهم فى حضور الكنيسة.

+ لقد تخرج من المدرسة تلامذة كثيرون فى الوقت الذى أنشئت مصلحة السكة الحديد فى مصر، فانتظموا فى خدمتها وانتشروا فى محطاتها، وكانوا يؤدون أعمالهم باللغة الانجليزية. وبعضهم استخدم فى البنوك وعند التجار الأجانب لمعرفة اللغة الطليانية.

+ لقد كان اهتمام البابا كيرلس الرابع بتعليم اللغة القبطية واحيائها بعد موتها عظيما. فطبع منها عدة كتب بدار الطباعة بلندن، فتعلمها أبناء المدارس وتكلموا بها .فكانت إلى آخر أيامه من أهم اللغات التى يتكلم بها أبناء المدارس.

+ لقد كان يقول دائما إنه ينتظر بفروغ صبر، استعداد تلامذة المدارس لتلقى العلوم العقلية كالمنطق والبيان، وكل العلوم التى يتسع بها العقل وتغزر المادة.

✢ هل صرف البابا كل عنايته بالتعليم؟

+ لقد وجه عنايته إلى ترميم الكنائس وإعادة ما تخرب منها، فأعادها إلى ما كانت عليه. كما سعى لدى سعيد باشا وحصل على إذن بناء كنيسة فى حارة السقايين، وكرس مكانا بمنزل القيصاوى ليكون كنيسة لحين التمكن من بناء الكنيسة الجديدة، وأقام أول صلاة فى تلك الكنيسة وبقيت الكنيسة فى ذلك المكان إلى أن بنيت الكنيسة الحالية.

✢ لقد أنشا مكتبة جمع فيها الكثير من الكتب المطروحة بدون اعتناء، والتي عبثت بها العوادي، والتي وجدها بالدار البطريركية. لقد كانت كتب ثمينة للغاية، فالتفت اليها وأخذ في اصلاحها، ووضعها في مكان خاص. ثم جمع من خزائن الأديرة والمعابد القديمة، نفائس الكتب وأشهر السجلات ووضعها في المكتبة، وصحح الكثير من كتب الكنيسة التي كانت محشوة بالخلط والتحريف وضبط عباراتها.

+ لقد شعر البابا بضرورة إحضار مطبعة لطبع الكتب المحفوظة بالدار البطريركية، ويوم وصول أدوات المطبعة، كان البابا موجودا بدير القديس أنطونيوس، فأرسل يأمر بإستقبال المطبعة بإحتفال رسمى يرتل فيه الشمامسة التراتيل الدينية.

✢ ولما رجع من الدير، عاب عليه البعض وانتقده لهذا

الاحتفال.

+ لقد أجابهم لو كنت حاضرا لرقصت أمامها، كما رقص داود أمام تابوت العهد.

+ على كل يا أبانا لقد نقلت المطبعة من دار البطريركية فى عهد البابا ديمتريوس الثانى، واستلمها وتولى ادارتها الأخوان رزق وابراهيم لوريا، ونقلوها إلى مدرسة ليدر، وطبعوا عليها كتاب القطمارس وخطب أولاد العسال والمواعظ. كما أخرج الأخوان مع ميخائيل عبد السيد جريدة الوطن الأسبوعية. ثم نقلت المطبعة إلى بيت تملكه البطرخانة بكلوت بك، وطبعت عليها الكتب الدينية. ولما مات الأخوان تولى ادارة المطبعة، أولاد الخواجا ابراهيم لوريا، وظلت فى حيازتهم إلى أن توقفت عن العمل، فإستلمها منهم مدير الديوان البطريركى فى ١٩٠٣م وباعها خردة.

+ كم كنا نود أن يحتفظ المسئولون بحطام هذه المطبعة، بإعتبارها أثرا هاما، خاصة وأن هذه المطبعة، كانت تعتبر ثالث مطبعة عرفتها مصر، فى بدء نهضتها. فالأولى دخلت مع الحملة الفرنسية، والثانية مطبعة بولاق الأميرية، والثالثة هذه كانت مطبعة الدار البطريركية.

+ وهذا ما دفعنا للإسهاب فى الحديث عن المطبعة وتطورها وأهميتها.

+ أنا وان كنت قد عاصرت سفر البابا كيرلس الرابع عندما كان إسمه القمص داود إلى الحبشة والأسباب التى أدت له فى عهد البابا بطرس

الجاولى، إلا أننى أود أن أعرف، ما الذى حدث فى أيام البابا كيرلس الرابع، عندما وقع الخلاف بين الحكومة العثمانية والحبشية، بسبب تعدى تيوذور ملك الحبشة على بعض الجهات، من اقليمى هرر وزيلع التابعتين للحكومة العثمانية..

✤ لقد أوعز السلطان عبد المجيد إلى سعيد باشا، بأن يرسل بطريرك الأقباط إلى الحبشة، لعقد إتفاقية بينه وبين ثيوذور، فجهزت للبابا باخرة وقام بهذه المهمة السياسية، بدون أن يدرى بها أحد إلا الذين رافقوه للسفر وبعض خدامه. لقد سافر والكآبة تعلو وجهه لتشاؤمه من ذلك السفر، وكان يرافقه إثنان من الأغوات الاتراك، فانتهز فرصة طول السفر وتمكن أن يتعلم منهما اللغة التركية.

+ ولما علم النجاشى بقدومه إلى الحبشة، خرج لملاقاته بموكب حافل على مسيرة ثلاثة أيام من عاصمة ملكه. وطلب من البابا أن يمسحه ملكا بحضور جميع ملوك الحبشة.

✤ غير أن البابا كان قد أبلغه مطران الحبشة، بأن نفرا من الانجليز المرسلين من جمعية التبشير بالانجيل، لبث تعاليم مارتن لوثر الدينية بين الأحباش، فى بلدة مجدلة. وقد تقربوا من النجاشى بعمل المدافع وصنع الذخيرة والسلاح لعسكره، وتعليمهم فنون الحرب والقتال. فمال اليهم وأعطاهم الحرية ليجولوا فى كل مكان، وكادوا يعبثون بطقوس الكنيسة القبطية ولم يفلح مطران الحبشة فى مقاومتهم، لذلك إنتهز فرصة وجود

البطريرك ورفع أمرهم اليه.

+ على كل بعد إنقضاء الأفراح والإستقبالات للبابا من النجاشى، طلب البطريرك كيرلس الرابع منه، أن يرد لمصر ما أخذه منها، فأجابه إلى طلبه بسرور زائد.

✤ ثم كلمه بشأن المرسلين الانجليز، وطلب منه ترحيلهم، فإعتذر النجاشى بكونهم يعلمون جنوده فنون الحرب. غير أن البابا أفهم النجاشى، أن الحال غير داعية للحرب، فأمر النجاشى بإخراج المرسلين من بلاده.

+ فحقدوا على البطريرك، وعولوا على الانتقام منه، قنصل انجلترا فى مصر، والانجليز لدى النجاشى.

✤ لقد دس قنصل الانجليز للبطريرك عند سعيد باشا، وذلك حين بعث البطريرك إلى سعيد باشا، يطلب منه أن يرسل اليه فى الحبشة بعض الصناع والمعلمين، فأوعز القنصل إلى سعيد باشا، بأن البابا كيرلس يروم أن يسلم بلاده إلى النجاشى، وحرض سعيد باشا حتى قام إلى الخرطوم بجيش عظيم.

+ وفى الوقت نفسه كان الانجليز، يحيكون مكيدة أخرى ضد البابا كيرلس، لدى النجاشى فى الحبشة. فدسوا اليه بأن قدوم البابا اليه، إنما هو لطرد الانجليز، الذين كانوا يعدون له آلات الحرب، ليمكن والى مصر من النجاشى.

✤ بل حاول الانجليز التشكيك فى الهدية التى حملها

البابا معه، فقالوا للنجاشي ان البرنس المزركش بالجواهر الكريمة، المرسل اليه من سعيد باشا مع البابا ضمن الهدايا، كساء مسموم اذا لبسه قضى عليه.

+ وبالطبع النجاشي كان قد علم بقدوم سعيد باشا بجيشه إلى الخرطوم، فتصور ان ما قاله الانجليز حق وصدق.

✣ فأمر النجاشي بسجن البطريرك، وضيق عليه الخناق وخاف من أن يهرب البابا، ويمسح ملكا للحبشة غيره فإصطحب البابا معه. فكان يسوقه أمامه في كل مكان يحل به محاطا بالحراس، وكان اذا جلس البابا يوقفه أمامه ويبكته بأقسى الألفاظ.

+ ولكن بالصلاة الحارة لله، تمكن البطريرك أن يصل إلى والدة النجاشي وكانت سيدة تقية ورعة. وأفضى اليها بالخبر. فتوسلت الأم إلى ولدها من جهة البابا، فسمح له أن يدافع عن نفسه. وتمكن البابا من إقناعه بجليل مقاصده.

✣ ومع ذلك طلب النجاشي من البابا، أن يلبس البرنس المزركش الذى إرتاب به. فلبسه البطريرك مدة يومين دون أن يصاب بأذى. ولبسه رجل محكوم عليه بالاعدام، مدة ثلاثة أيام فلم يصبه شئ البتة.

+ ولما كان النجاشي قد أصدر أمراً، بحرق البابا كيرلس حياً، على ضوء الوشايات، فلما عرف الحقيقة من جهة البابا عفى عنه.

✣ وأرسل البابا إلى سعيد باشا في الخرطوم، وطلب إليه العودة إلى مصر، كي يتمكن من إقناع النجاشي

وينجح فى مهمته. وفعلا رجع الوالى إلى مصر. وتأكد النجاشى كذب الوشاة على البطريرك فإعتذر له.

+ وبعد أكثر من سنة وأربعة أشهر، ترك فيها البابا القاهرة، وأقام فيها بالحبشة حيث واجهته الأحداث. عاد البابا إلى الخرطوم ومعه قسيس الملك ووزيره فى طريقه إلى القاهرة، التى وصلها فى ١٧ أمشير ١٥٧٤ فأستقبل إستقبالا كبيراً.

+ لقد كان ضمن إنجازات البابا كيرلس الرابع، بعد عودته بثلاثة أشهر أن شرع فى بناء الكنيسة الكبرى بالأزبكية، وكان يوم تأسيسها مشهوداً، حضره رؤساء الطوائف وأعيان الأقباط.

+ لقد كان يؤمن البابا، بأن أفضل سبيل لنجاح الكنيسة، هو ترقية وتهذيب الإكليروس. فكان يجمع القساوسة بالدار البطريركية، ويحضر معهم ويناقشهم ويشرح لهم واجبات القسوس وآدابهم. كما جعل رواتب شهرية لمن يعرف اللغة القبطية والوعظ، فعرف كيف يحبب لهم العلم، ويقاوم بهم المبشرين فى مصر والحبشة. كما كان ميالا لتعليم البنات وتهذيبهن رغم ما صادفه من مقاومة.

+ بالرغم من أن البعض ذكر أن للبابا عيباً، يتمثل فى تبديده نحو نصف مليون جنيه. كانت مكومة فى البطريركية من مال الأوقاف، وأنه أنفق ١٧ ألف جنيه ذهب، لعمل كساو مخصوصة وأطقم كاملة لتلبسها الشمامسة، إلا أن الحقيقة أنه لم ينفق شيئاً فى غير

محله، بل كل ما أنفقه عاد على الطائفة بالنجاح.

+ لقد وقعت للبابا كيرلس الرابع مأساة محزنة، دبرها له دهاة ساسة الإنجليز .. فما هى وما أسبابها ؟

﴿ كما سبق أن قلنا، أن الإنجليز كانوا ناقمين على البابا، لأنه طرد مرسليهم من بلاد الحبشة، ولم يمكنهم من أخذ دير السلطان بالقدس. واشتد غيظهم عليه، عندما علموا عزمه على توحيد الكنائس الأرثوذكسية. فإنتهز قنصل الإنجليز توجه البابا كيرلس الرابع، إلى دير القديس أنطونيوس وبصحبته بطريرك الروم وبطريرك الأرمن، ليقضوا أياماً ترويحاً للنفس، ودس إلى سعيد باشا بأن البابا كيرلس، إنما يسعى ليجعل الكنائس الأرثوذكسية تحت رئاسته، ويضعها تحت حماية روسيا، وأفهمه أن هذا أعظم خطر يهدد مصر.

+ فأرسل سعيد باشا إلى مدير بنى سويف يأمره أن يستدعى البطريرك حالا. فأرسل إليه رسولا يستدعيه إلى الديوان فلم يذهب وإستمهله أياماً، فإغتاظ سعيد باشا، وعاود المحافظ إرسال الرسول ليستدعيه لأمر لا يتم إلا بحضوره، فلم يقبل الذهاب. وصرف الرسول. فعاد إليه مرة وإثنين وثلاثة فلم ير بدأ من الذهاب، وسار مع الرسول وغاب ساعة ثم عاد.

﴿ عاد ووجهه يقطر من العرق وقد نزلت به حمى. فعرف العلة وأشار بالدواء فلم يأته، حتى أتاه طبيب

سعيد باشا بأمر منه وأخذ فى علاجه، وما زال يعالجه أياماً، وقد إشتدت علته وعظم الداء، وفقد الرشد وسقط شعر رأسه ولحيته على وسادته، وإنحل جسده ومات.

+ مع الأسف لم يكن الطبيب أميناً، فدس له السم فى الدواء، فلما شعر به يمزق أحشاءه، سلم الأمر لله وهو يقول «لاتخافوا ممن يقتل الجسد بل خافوا ممن يقتل النفس».

✤ هل لنا يا أبانا صرابامون أن نعرف بعض مواقف البابا ؟

+ لقد عرض عليه مسيو «سباتيه» قنصل فرنسا فى مصر إستعداده لمساعدة البابا، فيما يختص بمساواة الأقباط بالمسلمين فى الوظائف العسكرية بشرط أن يتحصل له البابا على تصريح من ملك الحبشة بدخول رهبان اليسوعيين فى بلاده والتوطن فيها، فأبى أن يجيبه إلى طلبه.

✤ لقد تصور البعض أن البابا قد طلب من سعيد باشا أن يعفى المسيحيين من الجندية.

+ لقد رد على ذلك بقوله: حاشا لى أن أكون جبانا بهذا المقدار، لا أعرف للوطنية قيمة، فأحرم البلاد من خدمة أبنائها.

✤ ذات يوم إعترض سعيد باشا أمام البابا كيرلس على المسيحية لأنها تساوى بين الرجل والمرأة. فأجابه البابا : اذا أتت المرأة أمرا مشكورا فهل يكافئها الله

بأقل ما يكافئ به الرجل؟

+ لقد رد عليه سعيد باشا قائلا: حاشا لله من الظلم. فأجابه البابا إذا كانت أحكام السماء تقضى بذلك فبالأولى أحكام الأرض.

✣ هل لنا ان نعرف ملامح شخصية البابا كيرلس الرابع؟

+ لقد كان غاية فى العفة والتقشف، شديد الكره لمقابلة النساء ومحادثتهن، حليم لايغضب. عظيم الاهتمام للرهبنة. شديد القساوة على الاكليروس. مخالطا للعلماء ومجالسا للفضلاء. كثير الأمثال فى حديثه وقلما أن يلقى عبارة لا يسندها إلى مثل.

✣ هل أستأذنك يا أبانا أن تصفه لنا؟

+ كان متوسط القامة ممتلئ الجسم قوى البنية، صحيح الأعضاء أبيض اللون، حاد النظر متيقظ الذهن، كبير الرأس عريض الجبهة كثيف اللحية.

✣ لقد كان البابا كيرلس عارف بالتاريخ، مدقق فى علوم الدين المسيحى، ماقتا الرشوة طلق اللسان، غيوراً على مذهبه وكنيسته.

+ ما اكثر الأمثلة التى تؤكد غيرته على مذهبه. فذات يوم كان فى زيارة رجل كاثوليكى، فطلب منه الرجل ان يناقشه فى الطبيعة والطبيعتين، فلم يشأ البطريرك أن يرد عليه، وبينما كان خارجا البابا قال للبواب: كم واحد تعبد يا أحمد؟ فاجابه البواب: استغفر الله لا

أعبد سوى واحد أحد. فقال له البابا: قل لسيدك لماذا يشرك مع الواحد آخر وانصرف.

✥ ذات يوم زاره القاصد الرسولى، بصحبة الخواجا يوحنا مسرة طالبا منه ان ينضم للبابا فى روما. وكان حينئذ مشغولا فى بناء الكنيسة، فجلس معهما وأظهر انه مهتم بفحص كتاب كان معه. ولما طال إنشغاله بالكتاب، سأله الخواجة مسرة. علام تفتش؟. فاجابه: لقد أصبحت فى حاجة إلى المال، لإكمال بناء المدارس والكنائس، وعرض على احدهم أن أستعين ببيع الغفرنات، فاخذت أفحص الكتاب المقدس لعلى أهتدى فيه، إلى ما يبرر هذا العمل، ومع ذلك ضاع تعبى عبثا. ونظر إلى القاصد الرسولى، وسأله إن كان له معرفة بشاهد، يؤيد صكوك الغفران فليدله عليه.

+ بالطبع فهم القاصد الرسولى المراد وإنصرف خجلا.

✥ وان كان هناك الكثير من المواقف التى تؤكد تواضعه وتسامحه فهل لنا أن نعرف بعضا منها؟

+ ذات يوم عاقب كاهنا دون ان يتحقق، ان كان مذنبا أم لا، ولما ظهرت براءته تعلق به وطلب منه أن يصفح عنه، وظل يلح عليه حتى حالله.

✥ ولما سافر إلى الحبشة، وكل إلى المعلم برسوم واصف، الاشراف على أعمال البطريركية أثناء غيابه،

وعند عودته، وشى أحدهم بالمعلم برسوم لدى البطريرك، مما أدى إلى النفور بينهما. وسرعان ما ظهرت الحقيقة وثبت للبابا ان الرجل برئ، فندم وأسرع وكتب له لقد تحريت المسالة فوجدتها كلاما لا اصل له، فارجوك المسامحة لأننى بشر غير معصوم من الخطأ. ثم وقع الخطاب بإمضاء الحقير كيرلس.

+ لقد كان للبابا نوادر طريفة وكثيرة.

✣ بعد رسامته بطريركا، كان نازلا مرة بدار ابن عم له ببوش وهو لابس ملابس الأعراب. فأتى البعض وإدعوا أنهم قسوس كنائس معينة، وجلسوا بجانبه يحدثونه بأنهم أصدقاء البطريرك، وأنه يجلهم ويحترمهم. فتركهم البابا، ورجع إليهم بعد أن إرتدى لباسه الكهنوتى، وقال لهم: ها أنا صديقكم البطريرك، جئت لكم لأبرهن على صداقتى لكم، بان أكلف المدير بالقبض عليكم، ويتولى إكرامكم ريثما أعود إلى القاهرة.

+ أذكر أن أتاه يوما رجل، يشكو من والد زوجته (حماه) بأنه حجز زوجته عنه. فدعا البابا أبو الزوجة، فإعتذر الرجل بفقر الزوج وسوء تصرفه. فصرفه البابا ليحقق دعواه. ثم أرسل لبيت الزوج كل ما تحتاجه البيوت، ثم دعا أبا الزوجة مع بعض أعيان الطائفة ليرى بيت صهره. فلما ذهبوا وجدوا البيت كامل الأثاث. وأرسل البطريرك إلى زوجة الرجل يأمرها بعدم مقابلة زوجها. فلما توجه الرجل إلى بيته، لم تشأ زوجته ان تقابله كأمر البابا. فمضى اليه الرجل يطلب

حله. فوبخه البطريرك قائلا: اذا كنت لم تستطع فراق زوجتك يوما واحدا، فكيف بصهرك الشاب. فخجل الرجل، وقبل رجوع ابنته إلى زوجها، اذا صرح البابا لزوجته بمقابلته، فإشترط البابا كيرلس مقابل تلك الموافقة، ان يدفع ٧٥ جنيها التى انفقها البابا على بيت صهره وألزمه بها، بداعى أنه هو الذى قبل هذا الزوج على فقره.

+ يعوزنا الوقت يا أبانا صرابامون أبو طرحة، لنذكر الكثير عن البابا كيرلس الرابع، الذى حاربه الشيطان بكل الأسلحة، ولكنه قهره بالصوم والصلاة والحكمة التى منحها من قبل الآب السماوى.

+ هل يمكننا ان نعرف من كتب عن البابا كيرلس؟

+ لقد كتب عن "أبو الأصلاح" كما كان يسمى البابا كيرلس الرابع، عشرات الكتب عن حياته، منها ما كتبه اثنان من تلاميذه تلقوا العلم فى مدرسته، وهما يعقوب نخلة روفيلة فى كتابه تاريخ الأمة القبطية، وميخائيل شاروبيم فى الكافى، وعلى باشا مبارك فى الجزء السادس من خططه، والقمص عبد المسيح المسعودى فى تكملة تاريخ البطاركة، وجورجى زيدان فى كتابه مشاهير الشرق، والأنبا ايسيذورس فى الخريدة النفيسة، والقمص منسى يوحنا فى تاريخ الكنيسة القبطية، وجرجس فيلوثاوس فى نوابغ الأقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر، والقمص تاوضروس السريانى فى كتابه تاريخ باباوات الكرسى الإسكندرى.

+ هذا عمن كتب عن البابا كيرلس الرابع من المصريين والعرب ألم يكتب عنه أحد من الكتاب الأجانب.

✤ لقد كتب عنه الأب بوليان اليسوعى فى كتابه مصر الذى طبع فى فرنسا ١٨٨٩، ومسز بوتشر فى كتابها تاريخ الأمة القبطية وكنيستها. والأب مونتاجو فولر فى كتابه مصر المسيحية.

+ أما زال فى حوارك عن البابا كيرلس الرابع بقية.

✤ أعتقد يا أبانا أن حب البابا كيرلس لديره وتحزبه لرهبانه يستدعى منا وقفة. حقا ان محبته لم تشمل كل الرهبان الأنطونيين، ولكن الفريق الذى إستحوز على عطفه وحبه كان من حاشيته، الذين يقومون بخدمته وإعداد طعامه وغسل ملابسه، سواء كان رئيسا للدير أو بطريركا. كما أن بعضهم كان يقوم بالتجسس على الآخرين ونقل أخبارهم اليه، أما بقية الرهبان، فكانوا فى حكم المنبوذين لا يرتبط معهم بأية مودة، بل كانوا كغيرهم من رهبان الأديرة الأخرى.

+ ماهى المثالب الأخرى التى تؤخذ على عهد البابا كيرلس؟

✤ لقد أباح إستعارة الكتب لمحبى الدرس والاطلاع، فغدر بعضهم من معدومى الضمائر، بما لديه من كتب ثمينة، فإختفى الكثير من المخطوطات التى لا تقدر بثمن. وبالرجوع إلى الفهرس لهذه المكتبة، وجد قائمة

بأسماء الكتب وعليها تعليق، بأن الكثير من الكتب الهامة بها، إستعارها كثيرون من وجهاء الأقباط، مذكورة فيها أسماؤهم،ولم يردوا العارية. كما قيل أن البابا كيرلس الرابع، قد نقل الكتب الثمينة إلى بلاد روسيا وهى الآن فى مكتباتها.

+ لقد تردد هذا القول، لأن روسيا كانت تعمل جاهدة، فى وضع الأقليات المسيحية فى الشرق الأوسط تحت حمايتها. كما كانت تنشد بين يدى البابا لحن الوحدة.

✣ عند سفر البابا كيرلس إلى الحبشة فى رحلته الثانية، عمد فى تفويض المعلم برسوم واصف وهو رجل مدنى بتدبير شئون البطريركية وسياستها وهذا أمر -مع الأسف- لم يحدث فى تاريخ الكنيسة. فقد جرت العادة فى حالة تغيب البطريرك عن كرسيه فى أية مهمة، كان يختار أكبر المطارنة سنا، أو من يثق فى كفاءته من أعضاء المجمع المقدس، ويعينه نائبا بطريركيا ويسند اليه ادارة شئون الكنيسة، ثم يخطر الحكومة بذلك حتى تكون على علم، بقائم مقام البطريرك، والرجوع اليه عند الحاجة. ترى بماذا تفسر تفويض رجل مدنى بتدبير شئون البطريركية؟

+ ان تفسير هذا العمل من جانب البطريرك، بضعف ثقته فى كل رجال الاكليروس..

✧ على كل لم يكن هذا التصرف وحده الذى أخذ عليه. فهناك قسوته فى معاملة الرهبان، والحد من حريتهم، واتسمت تصرفاته معهم، بطابع العنف والخشونة حتى أنهم سموه "أبو نبوت" وكانوا يهربون من ملاقاته شيوخا وشبابا، ثم زاد من تشدده عليهم، حتى جعل من الدير سجنا لهم.

+ يبدو أنك تريد أن تتحدث عما فكر فيه البابا كيرلس الرابع عن إتحاد الكنيسة القبطية والكنائس الأجنبية فى مصر.

✧ لقد أراد أن يجمع شمل المسيحيين على إختلاف مذاهبهم وأجناسهم فى وحدة دينية. لقد كان يود الإتحاد مع بطاركة القسطنطينية وأنطاكية وأورشليم المحليين، دون أن يتفاهم مع المسئولين عنهم فى المراكز الرئيسية. كما لم يناقش قداسته العقائد المختلف عليها بين الكنائس، التى أراد أن يتحد معها. فالأروام مثلا لا يسلمون بطبيعة واحدة فى الكلمة المتجسد، والأنجليكان يرمون الكنيسة القبطية بالضلال والمروق عن الحق. وهكذا لم يخرج البابا كيرلس الرابع من فكرة الإتحاد بعمل نافع.

+ حتى قال البعض أن البابا ظهر أمام المسئولين فى الحكومة، بأنه إنحرف عن الطريق الوطنى.

✧ لقد كان البابا كيرلس الرابع يمقت السريان المقيمين بالقاهرة ويحتقرهم، ولا يتعامل معهم من قريب أو

بعيد. وبقدر كراهيته للسريان، كان حبه للأرمن، الذى بلغ تعلقهم به، أن بطريركهم كلينيكوس فوض البابا كيرلس، إدارة شئون الكنيسة اليونانية فى مصر، عند سفره فى إجازة إلى القسطنطينية. ومع الأسف الشديد لقد تزعم مطران الأرمن بالقاهرة مع رجال سعيد باشا مؤامرة دس السم له.

+ على كل رغم أن البعض كان يلومه لبعض الأفعال التى لم ترق فى أعين الآخرين، وقد يكون ذلك حقداً أو غيظاً، أو محاولة فى كسب ود الآخرين إلا أن من كتبوا عنه، لم يكتبوا عن صومه ونسكه، لم ينسبوا إليه شيئاً من المعجزات، ولكن معجزاته كانت فى مدارسه وكنائسه، ومطابعه وحركاته الإصلاحية الجبارة، التى بعثت الحياة فى جسم الأمة القبطية، بعد أن كادت تحتضر.

+ رغم كل شئ .. رغم هذه الهنات، فقد كان البابا كيرلس الرابع من عباقرة الرجال، الذين سطعت أنوارهم فى القرن التاسع عشر. لقد قام بما لم يقم به غيره من مئات السنين، وإستطاع بسلامة تفكيره وشجاعته وإقدامه، أن يضع الكنيسة فى إطار براق، عجز أسلافه عن صنعه عبر القرون الأخيرة، فحق لنا أن نسميه رائد فكر ومؤسس نهضة.

+ لقد أفنى ذاته فى حب شعبه، وأدمى قدميه فى حقل الخدمة، ولفظ أنفاسه مناضلا شهيداً، فى ليلة الأربعاء ٣٠ يناير ١٨٦١ وعمره ٤٥ سنة.

+ فى فترة حبريته التى دامت سبع سنوات وتسعة أشهر

وثمانية عشر يوماً ، أقام مطراناً خصوصياً لمصر ولم يكن بها من قبل مطران نظراً لوجود مركز البطريرك بها . كما أقام على البحيرة والإسكندرية مطراناً الأنبا مرقس، وعلى المنوفية أنبا يوأنس الذى رافقه فى سفره الأول للحبشة بإسم الراهب برسوم، ورسم للقدس مطراناً أنبا باسيليوس، وأسقفين للوجه القبلى بعد وفاة سلفيهما . ولا ننسى فى حبريته أيضاً ، أعتبرت المرأة شريكة للرجل وليست مهمتها مجرد خدمة الرجل وإنجاب الأولاد . فقد عمل على تهذيبها فأنشأ مدرسة البنات القبطية ، وكانت الأولى فى مصر بل فى الشرق كله . وقد إقتدت الحكومة بالبابا ونظرت إليه كرائد اجتماعى وفتحت المدارس للبنات لتعليمهن وتثقيفهن .

+ فى فترة حبريته، إجتمع البابا مع سعيد باشا قبل سفره فى مهمته إلى الحبشة، والتى سبق أن ذكرتها فى زيارته الثانية للحبشة. لقد عرض البابا على سعيد باشا، أمر الطائفة القبطية، ورجاه أن تمنح المساواة، فيكون منهم أعضاء فى المجالس المحلية كإخوتهم المسلمين، ويسمح للموجودين منهم فى الخدمة العسكرية، أن يكونوا ضباطاً ورؤساء. وقد وعده سعيد باشا بتحقيق طلباته بعد عودته من الحبشة.

✣ يجب ألا نغفل عندما حظر سعيد باشا على الأقباط، إستعمال السلاح، وكانوا ممنوعين من التجنيد، خوفا من خيانتهم للجيش الإسلامى، أعاد النظر سعيد باشا

فى ضرورة تجنيدهم، وأصدر أمره بذلك، فقبض على كل الذكور وساقوهم للعسكرية، ولم يتركوا ولا واحد منهم لإعالة النساء والأولاد، وعاملوهم بقساوة. وشكى البابا كيرلس وندد بالإضطهاد، فأرغم سعيد باشا على إعفاء الأقباط من الخدمة العسكرية، وكان ذلك سبب غيظ سعيد باشا من البابا كيرلس الرابع.

+ لقد كان هذا السبب ضمن أسباب أخرى، أدت إلى وفاة البابا كيرلس الرابع مسموماً.

✣ إن الحديث عن البابا كيرلس الرابع ومواقفه لا ينضب ونكتفي بهذا القدر الذى أوضحنا. فيه الكثير من جوانب شخصيته. ونحن بصدد الانتهاء من حوارنا يا حبذا لو ذكرت لنا بعض مواقفك يا أبانا.

+ لما تقدم بى العمر وشخت وضعف بصرى، لم أتوان عن صلاة القداس وعندما كان يقدم إلى الإنجيل، لأقرأ الإنجيل القبطى وأجده مطولا، كنت أقول «يا بوى.. يا أم النور دا طويل قوى». لقد كان ندائى دائماً، هو يا أم النور، وكانت العذراء تعاوننى وتلبى نداءى فى طلباتي.. وإستغثت بها وتشفعت عندما أصابتنى الشيخوخة وضعف بصرى، فسهلت على قراءة الإنجيل.. وكانت معى تساندنى فى كل المعجزات التى قمت بها.

✣ بالطبع لا ننسى أنك وقعت، بتذكية القمص داود الأنطونى لرسامته بطريركا للكرازة المرقسية بإسم البابا كيرلس الرابع، أب الإصلاح بالعبارة الاتية: "أنا صرابامون أسقف كرسى المنوفية والبحيرة المدن

المحبة للمسيح قد إرتضيت بهذه التذكية كما وضعت". لقد كان هذا عام ١٨٥٣م.

بالطبع لاننسى عندما أصدر البابا كيرلس الرابع منشوره، عارضا مشروع بناء مدرسة الأقباط الكبرى بالقاهرة، حتى بادر الأقباط إلى الإكتتاب، وقد فتح البابا قائمة التبرعات بمبلغ خمسة آلاف قرش، وتلاه قداستكم يا أبانا صرابامون، بمبلغ ألفين وخمسمائة قرش، وكان جملة ماجمع بالقائمة الأولى ٤٤١٠٦ قرشاً.

+ كما لا تنسى أننى الذى رسمت الراهب يوحنا الناسخ، الذى أصبح البابا كيرلس الخامس، قسا على كنيسة حارة زويلة، بأمر البطريرك بطرس الجاولى، وإن كان البابا بطرس قد إستصغره فى عينيه، ولكننى قلت لغبطته عن يوحنا، يظهر أنه مبروك وإنشاء الله يخدم أمة الرب.

✠ وفعلا يا أبانا، لقد أصبح يوحنا الناسخ البابا كيرلس الخامس، البطريرك المائة والثانى عشر. إن حياته الطويلة كانت حافلة، مملوءة بالإثارة والشجاعة والأعمال والصوم والصلاة. إنها حياة لا يمكن أن نوفيها حقها فى عجالة.

+ أما زال فى حوارك بقية.

✠ على كل يا أبانا نشكر الظروف، التى أتاحت لنا ذلك الحوار الصادق، الذى تناولنا فيه حياتك

المباركة، ومن خلالها عرجنا لمعرفة حياة إثنين من البطاركة العظام .. البابا بطرس السابع (الجاولى) الذى عاصرته، وأحاطك بحبه ورعايته وبركته. والبابا كيرلس الرابع الذى عشت حتى السنة الأولى من رسامته بطريركا. لقد كانت حياتك الطويلة يا أبانا، كلها بركة وصلاة ومعجزات. وكان لا بد ان نقدمها لأبناء هذا الجيل والأجيال القادمة، كى يعرفوا آباء الكنيسة وتضحياتهم، وما قاسوه من الوان الإضطهاد والعذاب، من أجل إسم المسيح.

+ نشكر الله الذى ساعدنا على إتمام هذا الحوار. ودعنى أنطلق فاحبائى فى إنتظارى وأنا فى شوق إليهم.

+ على كل يا أبانا المبارك الأنبا صرابامون أبو طرحة، إن كنت قد تنيحت عام ١٨٥٣م، وإحتفلوا بدفنك فى الجهة الشرقية القبلية من الكنيسة الكاتدرائية الكبرى، مع بطريركك البابا بطرس الجاولى (السابع) البابا ١٠٩، إلا أن حياتك وفضائلك وسيرتك، ما زال يملأ اريجها نفوسنا، وصلاتك وأصوامك وقداساتك، ما زلنا نعيش ببركاتها. أما معجزاتك وعجائبك، فما زالت تجرى فى وسطنا حتى الآن، وستظل لكل الأجيال بركة للجميع.

يا أبانا الحبيب الأنبا صرابامون أسقف المنوفية
يا أبانا الناسك البسيط صانع العجائب والمعجزات
الأنبا صرابامون أبوطرحة

مطبعة دير البرموس

كلمة الغلاف

القديس الأنبا صرابامون أبو طرحة أسقف المنوفية عاصر إثنين من البطاركة المكرمين هما البابا بطرس السابع «الجاولى» والبابا كيرلس الرابع «أبو الإصلاح».

لقد إتسمت حياتهم بالبساطة والتقوى، بالصوم والصلاة بالإنجازات والمعجزات. لم يتهاونوا فى عقيدتهم. لم يرهبهم وعيد أو تهديد... إضطهاد أو تعذيب. رغم كل الضيقات التى قابلتهم مضوا فى طريق الصلاح والإصلاح. معضدين من الله الذى مدهم بالحكمة فإجتازوا المحن.

وهذا الكتاب "ثلاثة فى الإيمان" يلقى الضوء على سيرهم الطاهرة الذكية، من خلال حوار خيالى ممتع مع الأنبا صرابامون أبو طرحة. يقدمه لنا الأستاذ مجدى سلامة حتى تكون حياتهم الغنية المضيئة قدوة لنا فى التضحية والفداء فى البذل والعطاء.. فى الغيرة من أجل الله وسلامة الكنيسة.

بركاتهم جميعاً تحيط بنا. آمين

مطبعة دير البرموس